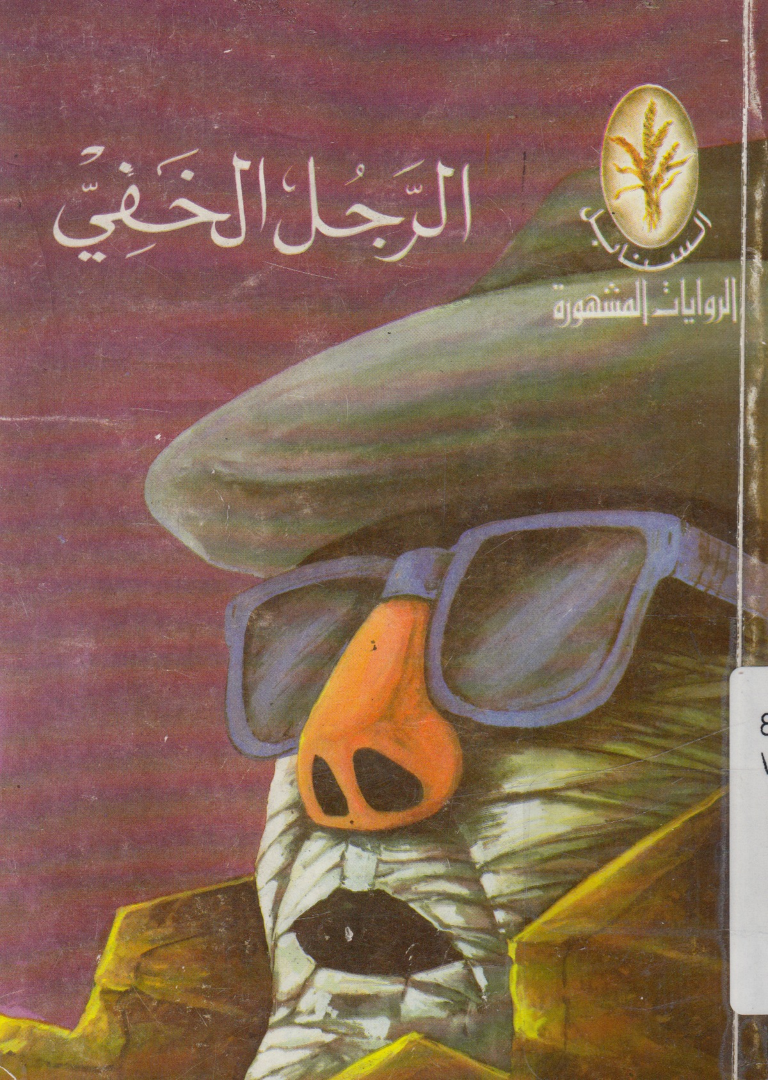
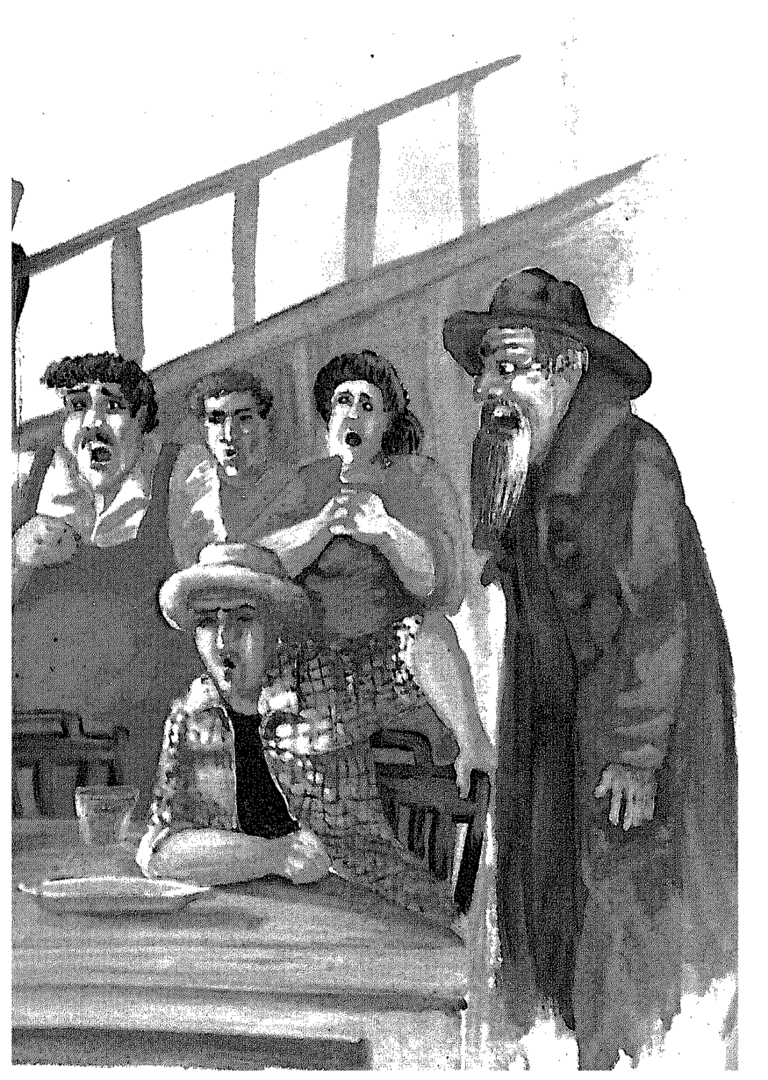
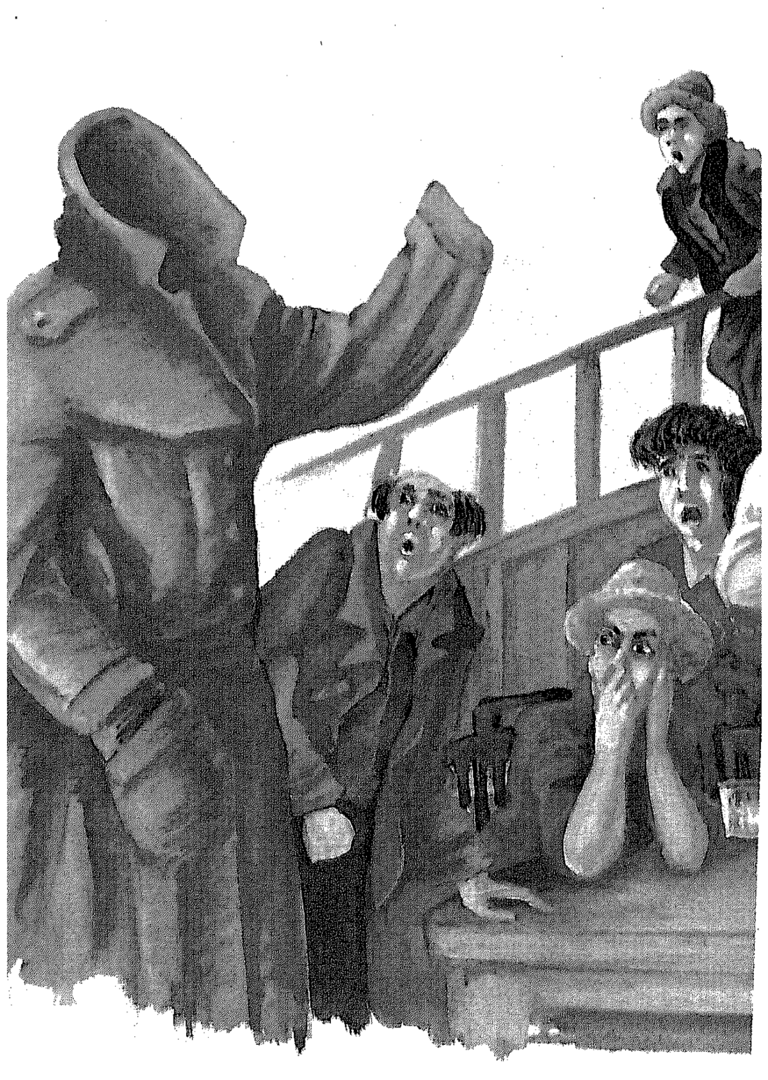

الرَّجُلُ الخَفِيّ
السنابل
الروايات المشهورة

الرَّجُلُ الخَفِيّ





رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ــ الجيزة

الطبعة الأولى ١٩٨٩
رقم الإيداع : ٢٧٦٢ / ١٩٨٩
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ــ١٤٤٦ــ٢٤ــX

طبع بمطابع الأخبار



الرَّجُلُ الخَفِيّ



تأليف : هـ.ج. ويلز

إعداد : صادق راشد

رسوم : حسن عبد الستار



الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان

الفَصْلُ الأوَّلُ
مَقْدَمُ ٱلرَّجُلِ ٱلغريبِ

في ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ يَوْمٍ مِنْ أيّامِ شَهْرِ فِبْراير ٱلشَّديدَةِ ٱلبُرودَةِ جاءَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ ، وكانَتِ ٱلرّيحُ عاصِفَةً ، وَٱلثَّلْجُ يَتَساقَطُ بِغَزارَةٍ . وَكانَتْ تِلْكَ آخِرَ مَرَّةٍ سَقَطَ فيها ٱلثَّلْجُ في ذٰلِكَ ٱلعامِ .

لَقَدْ أتى عَبْرَ ٱلتَّلِّ مِنْ مَحَطَّةِ سِكَّةِ حَديدِ برامْبِلْهِرِسْت ، وَفي يَدِهِ ٱلمَكْسُوَّةِ بِقُفّازٍ سَميكٍ حَقيبَةٌ صَغيرَةٌ سَوْداءُ . وَكانَ مُتَدَثِّرًا مِنْ رَأْسِهِ إلى قَدَمَيْهِ ، وَكانَتْ حافَةُ قُبَّعَتِهِ ٱللَّيِّنَةِ ٱلرَّمادِيَّةِ ٱللَّوْنِ تُغَطّي وَجْهَهُ كُلَّهُ بِٱسْتِثْناءِ طَرَفِ أنْفِهِ ٱللاّمِعِ ، وَقَدْ تَراكَمَ ٱلثَّلْجُ عَلى كَتِفَيْهِ وَصَدْرِهِ .

دَخَلَ فُنْدُقَ ٱلبَلْدَةِ ٱلمُسَمّى "ٱلعَرَبَة وَٱلجِياد" ، أدْنى إلى ٱلأمْواتِ مِنْهُ إلى ٱلأحْياءِ ، وَألْقى بِحَقيبَتِهِ عَلى ٱلأرْضِ صائِحًا : « مِدْفَأَةً بِحَقِّ ٱلرَّحْمَةِ ! غُرْفَةً وَمِدْفَأَةً ! »

دَقَّ ٱلأرْضَ بِقَدَمَيْهِ ، وَنَفَضَ ٱلثَّلْجَ عَنْ مِعْطَفِهِ ، وَسارَ في أعْقابِ



ٱلسَّيِّدَةِ هُول ، صاحِبَةِ ٱلفُنْدُقِ ، إلى قاعَةِ ٱلاسْتِقْبال ، وَٱتَّفَقَ مَعَها عَلى أَنْ تُؤَجِّرَهُ غُرْفَةً ، وَنَقَدَها جُنَيْهَيْنِ .

أَشْعَلَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول نارَ ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَتَرَكَتْهُ وَحْدَهُ ، وَمَضَتْ لِتُعِدَّ لَهُ بِنَفْسِها وَجْبَةَ ٱلطَّعام : فَإِنَّ ضَيْفًا يَهْبِطُ بَلْدَةَ أَيْبِنْغ في ٱلشِّتاءِ يُعَدُّ ضَرْبَةَ حَظٍّ لَـمْ يَسْمَعْ بِها أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، فَٱعْتَزَمَتْ أَنْ تُبَرْهِنَ لَهُ عَلى أَنَّها أَهْلٌ لِـهٰذا ٱلـحَظِّ ٱلسَّعيدِ .

وَضَعَتْ عَلى ٱلنّارِ شَيْئًا مِنَ ٱللَّـحْـمِ ، وَطَلَبَتْ إلى مِيـلِـي ، وَصيفَةِ ٱلفُنْدُقِ ، أَنْ تُهَيِّئَ ٱلغُرْفَةَ لِلْغَريبِ . وَذَهَبَتْ بِٱلـمِفْرَشِ وَٱلأَطْباقِ وَٱلأَكْوابِ إلى ٱلرَّدْهَةِ ، وَشَرَعَتْ تُعِدُّ ٱلمائِدَةَ .

وَرَغْمَ أَنَّ ٱلنّارَ كانَتْ مُتَّقِدَةً في ٱلـمِدْفَأَةِ ، فَقَدْ أَدْهَشَ ٱلسَّيِّدَةَ هُول أَنْ تَرى ضَيْفَها ما زالَ مُرْتَدِيًا قُبَّعَتَهُ وَ مِعْطَفَهُ ، وَكانَ واقِفًا عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ ، وَظَهْرُهُ إلَيْها ، يُحَـمْلِقُ إلى ٱلثُّلوجِ ٱلـمُتَساقِطَةِ في ٱلفِناءِ .

كانَ عاقِدًا ـ وَراءَ ظَهْرِهِ ـ يَدَيْهِ ٱلـمَكْسُوَّتَيْنِ بِٱلقُفّازِ ، وَبَدا مُسْتَغْرِقًا في تَفْكيرٍ عَميقٍ . وَلاحَظَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول أَنَّ بَعْضَ ٱلثَّلْـجِ ٱلذّائِبِ ، ٱلَّذي كانَ لا يَزالُ يُغَطّي كَتِفَيْهِ ، يَتَساقَطُ قَطَراتٍ عَلى ٱلأَرْضِ .

قالَتْ لَهُ : « هَلْ تَسْمَـحُ لي يا سَيِّدي أَنْ أَخْلَعَ عَنْكَ قُبَّعَتَكَ



وَمِعْطَفَكَ ، وَأُجَفِّفَهُما في آلـمَطْبَخِ ؟ »

أَجابَ دونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْها : « لا . »

لَـمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّها سَمِعَتْهُ ، وَهَمَّتْ بِأَنْ تُعيدَ عَلَيْهِ سُؤالَها مَرَّةً أُخْرى ، فَأَدارَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْها قائِلًا بِحَزْمٍ : « أوثِرُ أَلّا أَخْلَعَهُما . »

لاحَظَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول أَنَّهُ يَلْبَسُ نَظّارَةً زَرْقاءَ كَبيرَةَ آلـحَـجْـمِ ، وَأَنَّ لَهُ لِـحْيَةً كَثَّةً تُغَطّي ياقَةَ مِعْطَفِهِ ، وَتَكادُ تُخْفي وَجْهَهُ .

قالَتْ : « كَما تَشاءُ يا سَيِّدي . بَعْدَ قَليلٍ سَيَزْدادُ آلدِّفْءُ في آلغُرْفَةِ . »

لَـمْ يُجِبْ ، وَإنّما أَشاحَ عَنْها بِوَجْهِهِ ثانِيَةً . وَشَعَرَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول أَنَّ حَديثَها غَيْرُ مَرْغوبٍ فيهِ ، فَعَجَّلَتْ بِإعْدادِ ٱلمائِدَةِ ، وَأَسْرَعَتْ تُغادِرُ ٱلغُرْفَةَ .

حينَ رَجَعَتْ ، كانَ لا يَزالُ واقِفًا مَكانَهُ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ صَخْرٍ ، وَكانَ رافِعًا ياقَةَ مِعْطَفِهِ إلى أَعْلى ، أَمّا حافَةُ قُبَّعَتِهِ ٱلَّتي تَقْطُرُ ماءً فَكانَتْ مُرْتَخِيَةً إلى أَسْفَلُ ، تَكادُ تُخْفي وَجْهَهُ وَأُذُنَيْهِ .

وَضَعَتْ إناءَ ٱللَّحْمِ وَٱلبَيْضِ عَلى ٱلمائِدَةِ ، مُحْدِثَةً شَيْئًا مِنَ ٱلجَلَبَةِ ، وَصاحَتْ بِهِ : « غَداؤُكَ جاهِزٌ يا سَيِّدي . »

قالَ : « أَشْكُرُكِ . » لٰكِنَّهُ لَـمْ يَتَحَرَّكْ إلّا حينَ أَغْلَقَتِ ٱلبابَ . وَعِنْدَئِذٍ ٱسْتَدارَ ، وَٱتَّجَهَ مُسْرِعًا إلى ٱلمائِدَةِ .

في ٱلمَطْبَخِ مَلأَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول طَبَقًا بِٱلزُّبْدِ ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ عائِدَةً إلى ٱلرَّدْهَةِ .

نَقَرَتْ عَلى ٱلبابِ ، وَدَخَلَتْ في ٱلحالِ ، فَإذا بِهِ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ حَتّى إنَّها لَـمْ تَرَ إلّا شَيْئًا أَبْيَضَ يَخْتَفي وَراءَ ٱلمائِدَةِ . وَبَدا ٱلرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ ٱنْحَنى لِيَلْتَقِطَ شَيْئًا مِنْ عَلى ٱلأَرْضِ . وَوَضَعَتْ طَبَقَ ٱلزُّبْدِ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ ،

وَلاحَظَتْ أَنَّ آلـمِعْطَفَ وَآلقُبَّعَةَ كانا مَوْضوعَيْنِ عَلى مَقْعَدٍ أَمامَ آلـمِدْفَأَةِ .

قالَتْ في صَوْتٍ رَقيقٍ لا يُمْكِنُ أَنْ يُقابَلَ بِآلرَّفْضِ : « أَرى أَنْ آخُذَهُما آلآنَ لِأُجَفِّفَهُما . »

قالَ آلضَّيْفُ : « دَعي آلقُبَّعَةَ . » ثُمَّ آسْتَدارَ ، وَرَأَتْهُ وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْها . وَقَفَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لَـحْظَةً ، وَبَلَغَ مِنْ دَهْشَتِها أَنَّها لَزِمَتِ آلصَّمْتَ .

كانَ مُـمْسِكًا بِـمِنْشَفَةٍ بَيْضاءَ ، حَـجَبَ بِها آلـجُزْءَ آلأَسْفَلَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَأَخْفَتْ فَمَهُ وَفَكَّيْهِ إِخْفاءً تامًّا . بَيْدَ أَنَّ هٰذا لَـمْ يَكُنْ مَبْعَثَ



دَهْشَةِ ٱلسَّيِّدَةِ هُول ، فَٱلَّذي أَدْهَشَها هُوَ أَنَّ أَعْلى رَأْسِهِ ـ فَوْقَ ٱلنَّظّارَةِ ٱلزَّرْقاءِ ـ كانَ مُغَطًّى بِضِماداتٍ بَيْضاءَ ، وَكانَتْ تُغَطّي أُذُنَيْهِ ضِمادَةٌ أُخْرى ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ وَجْهِهِ شَيْءٌ فيما عَدا أَنْفَهُ ٱلـمُدَبَّبَ ٱلأَحْمَرَ . وَكانَ أَنْفُهُ لا يَزالُ أَحْمَرَ لامِعًا مِثْلَما رَأَتْهُ عِنْدَ قُدومِهِ . وَكانَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ يَرْتَدي سُتْرَةً بُنِّيَّةً غامِقَةً لَها ياقَةٌ سَوْداءُ مَرْفوعَةٌ إِلى أَعْلى حَوْلَ عُنُقِهِ ، أَمّا شَعْرُهُ ٱلأَسْوَدُ ٱلكَثيفُ فَكانَ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ ٱلضِّماداتِ وَمِنْ تَـحْتِها . وَكانَ هٰذا ٱلرَّأْسُ ٱلـمُضَمَّدُ يُخالِفُ ما تَوَقَّعَتْ أَنْ تَراهُ حَتّى إِنَّها وَقَفَتْ لَـحْظَةً تُحَدِّقُ إِلَيْهِ .

لَـمْ يَرْفَعِ ٱلغَريبُ ٱلـمِنْشَفَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، بَلْ ظَلَّ مُـمْسِكًا بِها بِيَدٍ يَكْسوها قُفّازٌ رَمادِيٌّ ، وَأَخَذَ يُحَـمْلِقُ إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول بِنَظّارَتِهِ ٱلقاتِـمَةِ . وقالَ لَها : « دَعي ٱلقُبَّعَةَ . »

بَدَأَ شُعورُها بِٱلـخَوْفِ يَقِلُّ ، وَأَعادَتِ ٱلقُبَّعَةَ إِلى مَكانِها فَوْقَ ٱلـمَقْعَدِ بِجِوارِ ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَقالَتْ : « لَـمْ أَكُنْ أَعْرِفُ يا سَيِّدي أَنَّ . . . » وَتَوَقَّفَتْ عَنِ ٱلكَلامِ .

قالَ في ٱقْتِضابٍ : « شُكْرًا لَكِ . » وَأَخَذَ يَنْتَقِلُ بِبَصَرِهِ بَيْنَها وَبَيْنَ ٱلبابِ .

قالَتْ : « سَأَعْمَلُ عَلى تَجْفيفِها جَيِّدًا ، يا سَيِّدي ، في آلحالِ . »

وَحَـمَلَتْ مَلابِسَهُ إلى خارِجِ آلغُرْفَةِ . وَتَطَلَّعَتْ مَرَّةً أُخْرى ، وَهِيَ تَنْفُذُ مِنَ آلبابِ ، إلى وَجْهِهِ آلـمَعْصوبِ بِآلضِّماداتِ ، وَإلى نَظّارَتِهِ آلقاتِـمَةِ ، فَوَجَدَتْهُ لا يَزالُ مُـمْسِكًا بِآلـمِنْشَفَةِ آلبَيْضاءِ فَوْقَ وَجْهِهِ . وَأَحَسَّتْ بِرَعْشَةٍ تَدِبُّ في أَوْصالِـها وَهِيَ تُغْلِقُ آلبابَ خَلْفَها .

هَمَسَتْ : « يا إلٰهي ! » وَآتَّجَهَتْ إلى آلـمَطْبَخِ في هُدوءٍ ، وَلَـمْ يَخْطِرْ بِبالِـها أَبَدًا أَنْ تَسْأَلَ مِيـلِـي عَمّا كانَتْ تَفْعَلُهُ آنَذاكَ .

إسْتَوى آلغَريبُ جالِسًا ، وَأَرْهَفَ آلسَّمْعَ إلى وَقْعِ خُطاها ، وَنَظَرَ صَوْبَ آلنّافِذَةِ قَبْلَ أَنْ يُبْعِدَ آلـمِنْشَفَةَ آلبَيْضاءَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَعادَ يَتَناوَلُ طَعامَهُ مَرَّةً أُخْرى . أَكَلَ لُقْمَةً ، وَنَظَرَ ثانِيَةً إلى آلنّافِذَةِ ، ثُمَّ تَناوَلَ لُقْمَةً أُخْرى ، وَنَهَضَ ، وَأَخَذَ آلـمِنْشَفَةَ وَمَشى عَبْرَ آلغُرْفَةِ ، وَأَسْدَلَ آلسِّتارَ ؛ فَأَظْلَمَتِ آلغُرْفَةُ ، فَعادَ إلى مائِدَتِهِ وَطَعامِهِ وَهُوَ أَسْعَدُ حالاً .

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « لا بُدَّ أَنَّ آلـمِسْكينَ أُصيبَ في حادِثٍ ، أَوْ أُجْرِيَتْ لَهُ عَمَلِيَّةٌ جِراحِيَّةٌ ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هٰذا آلقَبيلِ . كَمْ أَرْعَبَتْني هٰذِهِ آلضِّماداتُ ! » وَوَضَعَتْ في آلـمِدْفَأَةِ مَزيدًا مِنَ آلفَحْـمِ ، وَعَلَّقَتِ آلـمِعْطَفَ أَمامَها لِكَيْ يَجِفَّ . وَراحَتْ تُكْمِلُ كَلامَها : « وَآلنَّظّارَةُ !

يالَلْعَجَبِ ! إنَّهُ لا يَبْدو عَلى آلإِطْلاقِ آدَمِيًّا ! وَهٰذِهِ آلـمِنْشَفَةُ آلَّتي يُمْسِكُها بِآسْتِمْرارٍ فَوْقَ فَمِهِ وَيَتَحَدَّثُ مِنْ خِلالِـها ! لَعَلَّهُ قَدْ أُصيبَ في فَمِهِ أَيْضًا . »

ثُمَّ آسْتَدارَتْ ، كَأَنَّها تَذَكَّرَتْ شَيْئًا فَجْأَةً ، وَسَأَلَتْ : « أَلَـمْ تَفْرَغي بَعْدُ يا مِيلِـي مِنْ إِعْدادِ آلبَطاطِسِ ؟ »

حينَ ذَهَبَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول تَرْفَعُ أَوانِـيَ آلغَداءِ ، آزْدادَتْ فِكْرَتُها رُسوخًا عَنْ إِصابَةِ فَمِهِ في حادِثٍ ؛ فَرَغْمَ أَنَّهُ كانَ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ طَوالَ آلوَقْتِ آلَّذي مَكَثَ فيهِ في آلغُرْفَةِ ، إِلّا أَنَّهُ كانَ مُسْتَمِرًّا في إِخْفاءِ آلـجُزْءِ آلسُّفْلِـيِّ مِنْ وَجْهِهِ .

كانَ جالِسًا في رُكْنِ آلغُرْفَةِ ، وَظَهْرُهُ إِلى سِتارِ آلنّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّـمُ وَقَدْ خَفَّتْ حِدَّةُ تَبَرُّمِهِ عَنْ ذي قَبْلُ ، بَعْدَ أَنْ أَكَلَ وَآرْتَوى ، وَشَعَرَ بِآلدِّفْءِ وَآلرّاحَةِ . وَكانَتْ نيرانُ آلـمِدْفَأَةِ تَنْعَكِسُ حَـمْراءَ عَلى زُجاجِ نَظّارَتِهِ .

قالَ : « لَدَيَّ بَعْضُ آلـحَقائِبِ في مَـحَطَّةِ برامْبِلْهِرِسْت ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نُحْضِرَها إِلى هُنا ؟ »

أَجابَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول عَنْ سُؤالِهِ ، وَواصَلَتْ حَديثَها قائِلَةً : « إِنَّ

طَريقَ ٱلتَّلِّ مُنْحَدِرٌ يا سَيِّدي ، وَفيهِ ٱنْقَلَبَتْ إحْدى ٱلعَرَباتِ مُنْذُ عامٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَلَقِيَ أَحَدُ ٱلسّادَةِ مَصْرَعَهُ . إنَّ ٱلـحَوادِثَ تَقَعُ يا سَيِّدي في لَـحْظَةٍ خاطِفَةٍ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

« بلى . »

« لٰكِنَّ ٱلنّاسَ يَسْتَغْرِقونَ وَقْتًا طَويلًا لِكَيْ يَبْرَأوا مِنْ إصاباتِـهِمْ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لَقَدْ وَقَعَ ٱبْنُ أُخْتي توم فَوْقَ ٱلـمِنْجَلِ في حَقْلِ ٱلتِّبْنِ فَأُصيبَ بِجُرْحٍ في ذِراعِهِ . تَصَوَّرْ يا سَيِّدي أَنَّهُ ظَلَّ مَشْدودًا بِٱلأَرْبِطَةِ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ ! هٰذا شَيْءٌ يَكادُ لا يُصَدَّقُ يا سَيِّدي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْذُ تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ أَخافُ ٱلـمَناجِلَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلزّائِرُ ٱلغَريبُ : « أَسْتَطيعُ أَنْ أُدْرِكَ هٰذا . »

« كُنّا نَخْشى أَنْ يَتَطَلَّبَ ٱلأَمْرُ إجْراءَ عَمَلِيَّةٍ جِراحِيَّةٍ . لَقَدْ كانَ في أَسْوَإِ حالٍ . »

ضَحِكَ ٱلزّائِرُ ٱلغَريبُ فَجْأَةً ، وَكانَتْ ضِحْكَتُهُ أَشْبَهَ بِنُباحِ كَلْبٍ .

قالَ : « أَ حَقًّا ؟ »

« نَعَمْ يا سَيِّدي . كانَ في أَسْوَإِ حالٍ . وَلَـمْ يَكُنِ ٱلأَمْرُ عادِيًّا بِٱلنِّسْبَةِ لِأولٰئِكَ ٱلَّذينَ كانوا يُمَرِّضونَهُ ، كَما فَعَلْتُ أَنا ، وَكانَتْ أُخْتي مَشْغولَةً

بِصِغارِها . كانَتْ ثَمَّةَ ضِماداتٌ أَعْصِبُ بِها ذِراعَهُ ، وَضِماداتٌ أَفُكُّها ، لِذا فَإِنّي أَتَجاسَرُ يا سَيِّدي عَلى أَنْ أَسْأَلَكَ . . . »

فَجْأَةً ، قالَ آلزّائِرُ الغَريبُ مُقاطِعًا إِيّاها : « هَلْ لَكِ أَنْ تَأْتيني بِبَعْضِ آلثِّقابِ ؛ فَقَدِ آنْطَفَأَ غَلْيوني . »

أَمْسَكَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول عَنِ آلكَلامِ ؛ فَقَدْ أَحَسَّتْ بِالفَظاظَةِ في تَصَرُّفِهِ بَعْدَ أَنْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِآلكَثيرِ ، لٰكِنَّها تَذَكَّرَتِ آلـجُنَيْهَيْنِ ، فَمَضَتْ لِتَأْتِـيَ بِآلثِّقابِ .

قالَ بِآقْتِضابٍ وَهُوَ يَتَناوَلُ مِنْها آلثِّقابَ : « أَشْكُرُكِ . » ثُمَّ أَوْلاها ظَهْرَهُ ، وَعادَ يَنْظُرُ مِنَ آلنّافِذَةِ ، وَكانَ واضِحًا أَنَّهُ لا يَميلُ إِلى آلـحَديثِ عَنِ آلضِّماداتِ .

بَقِيَ آلزّائِرُ آلغَريبُ في غُرْفَتِهِ حَتّى آلرّابِعَةِ مَساءً ، دونَ أَنْ يُهَيِّئَ لِلسَّيِّدَةِ هُول سَبَبًا لِزِيارَتِهِ . وَخِلالَ ذٰلِكَ آلوَقْتِ كانَ هادِئًا جِدًّا . لَعَلَّهُ جَلَسَ في آلعَتَمَةِ آلـمُتَزايِدَةِ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، أَوْ لَعَلَّهُ آسْتَغْرَقَ في آلنَّوْمِ .

وَقَدْ سُمِعَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَذْرَعُ آلغُرْفَةَ جيئَةً وَذَهابًا خَـمْسَ دَقائِقَ . وَبَدا كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلى نَفْسِهِ ، وَبَعْدَئِذٍ سُمِعَ لِلْـمَقْعَدِ ذي آلـمَسْنَدَيْنِ صَريرٌ وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ .

الفَصْلُ ٱلثّاني

السَّيِّدُ هَنْفرِي يَجْفِلُ فَزِعًا

في ٱلرّابِعَةِ مَساءً ، لَـمْ تَكُنِ ٱلدُّنْيا قَدْ أَظْلَـمَتْ تَمامًا ، وَكانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول تَتَلَـمَّسُ في نَفْسِها ٱلشَّجاعَةَ لِتَمْضِيَ إلى ضَيْفِها لِتَسْأَلَهُ إنْ كانَ يُريدُ شايًا . في تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ جاءَ إلى ٱلفُنْدُقِ تيدِي هَنْفرِي ٱلَّذي يَقومُ بِإصْلاحِ ٱلسّاعاتِ .

قالَ تيدِي يُخاطِبُ ٱلسَّيِّدَةَ هُول : « أُسْعِدْتِ مَساءً . إنَّ ٱلطُّرُقاتِ مَليئَةٌ بِٱلثَّلْـجِ ، وَلا تَصْلُـحُ لَها ٱلأَحْذِيَةُ ٱلرَّقيقَةُ ٱلـجِلْدِ ! »

وافَقَتْهُ ٱلسَّيِّدَةُ هُول عَلى قَوْلِهِ ، ثُمَّ فَطِنَتْ إلى أَنَّهُ جاءَ بِحَقيبَتِهِ مَعَهُ ، فَقالَتْ لَهُ : « الآنَ وَقَدْ جِئْتَ يا سَيِّدُ تيدِي ، فَإنَّهُ يُسْعِدُني أَنْ تَفْحَصَ ٱلسّاعَةَ ٱلعَتيقَةَ . إنَّها تَعْمَلُ وَتَدُقُّ دَقّاتٍ عالِيَةً واضِحَةً ، غَيْرَ أَنَّ عَقْرَبَ ٱلسّاعاتِ مُتَوَقِّفٌ عِنْدَ ٱلسّادِسَةِ لا يَتَحَرَّكُ . » وَمَشَتْ تَتَقَدَّمُهُ عَبْرَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَقَرَعَتْ بابَ ٱلرَّدْهةِ .

عِنْدَما فَتَحَتِ آلبابَ ، رَأَتِ آلزّائِرَ آلغَريبَ جالِسًا أَمامَ آلـمِدْفَأَةِ عَلى آلـمَقْعَدِ ذي آلـمَسْنَدَيْنِ ، وَبَدا غارِقًا في آلنَّوْمِ ، وَرَأْسُهُ آلـمُضَمَّدُ مائِلٌ عَلى جَنْبِهِ . وَكانَ آلضَّوْءُ آلوَحيدُ في آلغُرْفَةِ ذٰلِكَ آلوَهَجَ آلأَحْـمَرَ آلـمُنْبَعِثَ مِنْ نيرانِ آلـمِدْفَأَةِ ، وَتَراءى كُلُّ شَيْءٍ في آلغُرْفَةِ مَغْمورًا بِآلظِّلالِ .

وَفي لَـحْظَةٍ خاطِفَةٍ خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّ لِلرَّجُلِ آلَّذي تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ فَمًا واسِعًا مَفْغورًا ، فَمًا يَشْغَلُ مِنْ وَجْهِهِ جُزْءَهُ آلأَسْفَلَ . وَتَراءى آلـمَشْهَدُ مِنَ آلبَشاعَةِ بِحَيْثُ لا يُصَدَّقُ : فَثَمَّةَ رَأْسٌ أَبْيَضُ ، وَنَظّارَةٌ بَرّاقَةٌ ، ثُمَّ فَجْوَةٌ كَبيرَةٌ . وَتَحَرَّكَ آلرَّجُلُ ، وَآعْتَدَلَ في جِلْسَتِهِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ ، وَدَفَعَتِ آلسَّيِّدَةُ آلبابَ توسِعُ فُتْحَتَهُ ، فَآزْدادَتِ آلغُرْفَةُ نورًا ، وَآسْتَطاعَتْ عِنْدَئِذٍ أَنْ تَراهُ أَكْثَرَ وُضوحًا : كانَتْ قِطْعَةُ آلقُماشِ تَحْجُبُ وَجْهَهُ ، كَما رَأَتْهُ مِنْ قَبْلُ مُـمْسِكًا بِها ، فَتَصَوَّرَتْ أَنَّ ظِلالَ آلغُرْفَةِ خَدَعَتْ بَصَرَها .

سَأَلَتْهُ : « أَ يُضايِقُكَ يا سَيِّدي أَنْ يَدْخُلَ آلرَّجُلُ لِيَفْحَصَ آلسّاعَةَ ؟ ! »

« يَفْحَصُ آلسّاعَةَ ؟ » تَساءَلَ مُـحَمْلِقًا حَوْلَهُ وَهُوَ يُغالِبُ آلنُّعاسَ ، ثُمَّ تَنَبَّهَ وَقالَ : « فَلْيَحْضُرْ بِآلتَّأْكيدِ . »

إِنْصَرَفَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول لِتُحْضِرَ مِصْباحًا ، وَنَهَضَ ٱلغَرِيبُ واقِفًا ، وَتَمَطّى . وَظَهَرَ ٱلضَّوْءُ ، وَبوغِتَ ٱلسَّيِّدُ تيدِي هَنفِري ، وَهُوَ عِنْدَ ٱلبابِ ، بِـمُشاهَدَةِ هٰذا ٱلإِنْسانِ ٱلـمُضَمَّدِ ، وَفَزِعَ لِرُؤْيَتِهِ وَأَجْفَلَ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ وَهُوَ يُحَـمْلِقُ إِلَيْهِ : « طابَ مَساؤُكَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ هَنفِري : « أَرْجو أَلّا يُزْعِجَكَ وُجودي يا سَيِّدي . »

قالَ الغَريبُ : « كَلّا ، بِكُلِّ تَأْكيدٍ . » ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول قائِلًا: « وَلٰكِنّي فَهِمْتُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلغُرْفَةَ لِاسْتِعْمالِـيَ ٱلخاصِّ . »

أَجابَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يا سَيِّدي أَنَّكَ تُفَضِّلُ أَنْ تَكونَ ٱلسّاعَةُ . . . »

قاطَعَها ٱلغَريبُ : « طَبْعًا ! طَبْعًا ! وَلٰكِنّي أُفَضِّلُ أَنْ أَكونَ وَحْدي فيما بَعْدُ . » ثُمَّ ٱسْتَدارَ مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ لِلْـمِدْفَأَةِ ، وَعَقَدَ يَدَيْهِ وَراءَ ظَهْرِهِ وَقالَ : « وَبَعْدَ أَنْ يَتِمَّ إِصْلاحُ ٱلسّاعَةِ أُحِبُّ أَنْ أَشْرَبَ قَدَحًا مِنَ ٱلشّايِ ، وَلَيْسَ قَبْلَ ذٰلِكَ . »

هَمَّتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول بِـمُغادَرَةِ ٱلغُرْفَةِ ، دونَ أَنْ تُحاوِلَ ٱلكَلامَ ، وَلٰكِنَّهُ

آبْتَدَرَها مُتَسائِلًا عَمّا إذا كانَتْ قَدْ فَعَلَتْ شَيْئًا بِشَأْنِ إحْضارِ حَقائِبِهِ مِنْ مَحَطَّةِ برامْبِلْهِرِسْت ، فَأَجابَتْهُ بِأَنَّ آلحَمّالَ سَيَأْتي بِها في آليَوْمِ آلتّالي .

سَأَلَها : « أَ مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ لا يُمْكِنُهُ أَنْ يُحْضِرَها قَبْلَ ذٰلِكَ ؟ »

وَلَمْ تَرُدَّ آلسَّيِّدَةُ هُول ، فَآسْتَطْرَدَ : « كانَ يَنْبَغي أَنْ أُوَضِّحَ مِنَ آلبِدايَةِ أَنَّني عالِمٌ ، وَلٰكِنَّ إحْساسي بِالتَّعَبِ وَآلبَرْدِ مَنَعَني مِنْ ذٰلِكَ . إنَّني في حاجَةٍ إلى الأَشْياءِ آلَّتي في حَقائِبي . »

« طَبْعًا يا سَيِّدي . »

وَواصَلَ حَديثَهُ بِبُطْءٍ قائِلًا : « إنَّ آلسَّبَبَ في قُدومي إلى أَيْبِنْغ هُوَ رَغْبَتي في أَنْ أَنْفَرِدَ بِنَفْسي : فَلَسْتُ أُريدُ أَنْ يُزْعِجَني أَحَدٌ ، بِالإضافَةِ إلى أَنَّ حادِثًا . . . »

فَقالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول لِنَفْسِها : « هٰذا ما ظَنَنْتُ . »

إسْتَطْرَدَ قائِلًا : « هٰذا آلحادِثُ جَعَلَ مِنَ آلضَّرورِيِّ أَنْ أَكونَ هادِئًا . كَما أَنَّ عَيْنَيَّ تَضْعُفانِ في بَعْضِ آلأَحْيانِ وَتُؤْلِمانِي ، فَلا بُدَّ لي عِنْدَئِذٍ مِنْ أَنْ أَحْبِسَ نَفْسي في آلظَّلامِ بِضْعَ ساعاتٍ . وَهٰذا يَحْدُثُ لي مِنْ حينٍ لآخَرَ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ في آلوَقْتِ آلحاضِرِ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . وَفي مِثْلِ

هٰذِهِ ٱلأَوْقاتِ فَإِنَّ أَبْسَطَ شيْءٍ يَحْدُثُ يُسَبِّبُ لي أَلَـمًا شَديدًا ، كَدُخولِ شَخْصٍ غَريبٍ إلى ٱلغُرْفَةِ مَثَلًا ، وَهٰذا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَكونَ مَفْهومًا . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « طَبْعًا يـا سَيِّدي . وَإذا أَذِنْتَ لي فَأَعْتَقِدُ . . . »

قاطَعَها فى هُدوءٍ قائِلًا : « هٰذا كُلُّ شيْءٍ . »

بَعْدَ أَنِ ٱنْصَرَفَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول ، لَبِثَ واقِفًا أَمامَ ٱلـمِدْفَأَةِ يَتَطَلَّعُ إلى ٱلسّاعَةِ أَثْناءَ إصْلاحِها . وَكانَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفري ماضِيًا في مُزاوَلَةِ عَمَلِهِ ، وَٱلـمِصْباحُ عَلى كَثَبٍ مِنْهُ ، وَٱلظِّلالُ ٱلـخَضْراءُ تَعْكِسُ عَلى يَدَيْهِ وَعَلى ٱلتُّروسِ ضَوْءًا لامِعًا ، تارِكَةً بَقِيَّةَ ٱلغُرْفَةِ غارِقَةً في ٱلظَّلامِ . وَٱسْتَغْرَقَ هَنْفري وَقْتًا أَطْوَلَ مِـمّا يَنْبَغي في رَفْعِ أَدواتِهِ ، وَكانَ يَحْدوهُ ٱلأَمَلُ في أَنْ يَتَبادَلَ ٱلـحَديثَ مَعَ ٱلغَريبِ ، وَلٰكِنَّ ٱلغَريبَ لَبِثَ مَكانَهُ صامِتًا جامِدًا . وَكانَ جُمودُهُ بالِغًا إلى دَرَجَةٍ أَثارَتِ ٱلـخَوْفَ في قَلْبِ هَنْفري ، وَشَعَرَ أَنَّهُ وَحيدٌ في ٱلغُرْفَةِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَلِّعًا ، وَعِنْدَئِذٍ لَـمْ يَرَ إلّا ٱلظِّلالَ ٱلـمُعْتِمَةَ ٱلرَّمادِيَّةَ ، وَذٰلِكَ ٱلرَّأْسَ ٱلـمَعْصوبَ بِٱلضِّماداتِ ، وَتِلْكَ ٱلنَّظّارَةَ ٱلكَبيرَةَ ٱلدّاكِنَةَ ٱلَّتي تُحَـمْلِقُ في ثَباتٍ .

كانَ ٱلأَمْرُ غَريبًا بِٱلنِّسْبَةِ لِـهَنْفـري ، لِدَرَجَةٍ مَرَّتْ مَعَها ٱللَّحَظاتُ



وَكُلٌّ مِنْهُما يُحَـمْلِقُ إلى الآخَرِ . وَعِنْدَئِذٍ خَفَّضَ هَنفرِي بَصَرَهُ ، وَوَدَّ أَنْ يَقولَ شَيْئًا : أَ تُراهُ يَقولُ إنَّ آلـجَوَّ أَشَدُّ بُرودَةً مِـمّا هُوَ مَأْلوفٌ في مِثْلِ هٰذا آلوَقْتِ مِنَ آلسَّنَةِ ؟

شَرَعَ يَقولُ : « إنَّ آلـجَوَّ . . . »

قاطَعَهُ آلغَريبُ آلصّارِمُ بِغَضَبٍ : « هَلّا أَنْجَزْتَ عَمَلَكَ وَآنْصَرَفْتَ ؟ إنَّ آلـمَطْلوبَ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُثَبِّتَ عَقْرَبَ آلسّاعاتِ . إنَّكَ تُضَيِّعُ آلوَقْتَ . »

« بِكُلِّ تَأْكيدٍ يا سَيِّدي . . . دَقيقَةٌ واحِدَةٌ لا أَكْثَرَ . . . لَقَدْ نَسيتُ . . . »

أَنْجَزَ آلسَّيِّدُ هَنْفرِي عَمَلَهُ وَغادَرَ آلغُرْفَةَ غاضِبًا . وَقالَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَقْطَعُ شارِعَ آلبَلْدَةِ وَالثُّلوجُ لا تَزالُ مُنْهَمِرَةً : « عَلَيْهِ آللَّعْنَةُ ! لا بُدَّ لِلْـمَرْءِ أَنْ يُصْلِـحَ آلسّاعاتِ مِنْ حينٍ لآخَرَ . أَلا يُمْكِنُ لِلْـمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ إلَيْكَ ؟ يا لَكَ مِنْ دَميمٍ ! لا أَحْسَبُكَ أَنْتَ نَفْسَكَ تُطيقُ آلنَّظَرَ إلى وَجْهِكَ . لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ هارِبًا مِنَ آلشُّرْطَةِ فَلَنْ يُخْفِيَكَ آلـمَزيدُ مِنَ آللَّفائِفِ وَآلضِّماداتِ . »

وَعِنْدَ مُنْعَطَفِ ٱلشّارِعِ رَأى ٱلسَّيِّدَ هُول ٱلَّذي تَزَوَّجَ سَيِّدَةَ ٱلفُنْدُقِ مُنْذُ عَهْدٍ قَريبٍ .

سَأَلَهُ هُول : « كَيْفَ حالُكَ يا تيدِي ؟ »

أَجابَهُ تيدِي : « إِنَّ لَدَيْكُمْ نَزيلاً غَريبَ ٱلشَّأْنِ . »

وَتَساءَلَ هُول : « ماذا تَعْني ؟ »

قالَ تيدِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ غَريبٌ يَنْزِلُ في ٱلفُنْدُقِ . » ثُمَّ مَضى يَصِفُ ضَيْفَ ٱلسَّيِّدَةِ هُول : « إِنَّهُ شَخْصٌ عَجيبٌ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ إِنَّني ما كُنْتُ أَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقيمَ بِبَيْتي إِلَّا إِذا رَأَيْتُ وَجْهَهُ . وَلٰكِنَّ ٱلنِّساءَ يَتَصَرَّفْنَ بِبَلاهَةٍ مَعَ ٱلأَغْرابِ . لَقَدِ ٱسْتَأْجَرَ إِحْدى ٱلغُرَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَتّى ٱسْمَهُ . »

فَقالَ هُول ، وَهُوَ رَجُلٌ يَتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلغَباءِ : « شَيْءٌ غَريبٌ ! »

قالَ تيدِي : « نَعَمْ ! كَما أَنَّ لَدَيْهِ ٱلعَديدَ مِنَ ٱلحَقائِبِ ٱلَّتي سَتَصِلُهُ غَدًا ، كَما يَقولُ . » وَواصَلَ تيدِي سَيْرَهُ ، وَقَدْ أَحَسَّ بِٱلارْتِياحِ .

وَفي ٱلتّاسِعَةِ وَٱلنِّصْفِ أَوى ٱلغَريبُ إِلى مِخْدَعِهِ . وَمَضى ٱلسَّيِّدُ هُول إِلى ٱلرَّدْهَةِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ ٱلأَثاثَ بِإِمْعانٍ شَديدٍ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّ ٱلغَريبَ

لَيْسَ آلسَّيِّدَ في آلفُنْدُقِ ، ثُمَّ قالَ لِزَوْجَتِهِ ، عِنْدَما دَخَلَ مِخْدَعَهُ : « يَجِبُ أَنْ تَفْحَصي حَقائِبَ هٰذا آلنَّزيلِ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ عِنْدَما تَصِلُ غَدًا . »

أَجابَتْ : « اِهْتَمَّ بِشُؤونِكَ يا هُول وَدَعْني أَهْتَمَّ بِشُؤوني . »

بَيْدَ أَنَّها آسْتَيْقَظَتْ في مُنْتَصَفِ آللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ شاهَدَتْ في حُلْمِها رُؤوسًا بَيْضاءَ ضَخْمَةً تَسْعى وَراءَها ، وَلَها أَعْناقٌ طَويلَةٌ ، وَعُيونٌ كَبيرَةٌ سَوْداءُ . وَلٰكِنْ لَمّا كانَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول آمْرَأَةً عاقِلَةً مُتَّزِنَةً ، فَقَدِ آسْتَدارَتْ عَلى جَنْبِها ، وَآسْتَغْرَقَتْ في آلنَّوْمِ مِنْ جَديدٍ .

الفَصْلُ آلثّالِثُ

أَلْفُ زُجاجَةٍ وَزُجاجَة

كانَتْ هٰذِهِ قِصَّةَ مَجيءِ آلغَريبِ إلى قَرْيَةِ أَيبْنغ في آلتّاسِعِ مِنْ فِبْراير ، في بِدايَةِ فَصْلِ آلدِّفْءِ. وَفي آليَوْمِ آلتّالي وَصَلَتْ أَمْتِعَتُهُ ، وَكانَ مِنْ بَيْنِها حَقيبَتانِ عادِيَّتانِ ، وَصُنْدوقٌ كَبيرٌ مَمْلوءٌ بِآلكُتُبِ آلفَخْمَةِ ، وَكانَ آلبَعْضُ مِنْها مَكْتوبًا بِخَطٍّ تَصْعُبُ قِراءَتُهُ ؛ إلى جانِبِ عَشَرَةِ صَناديقَ أَوْ أَكْثَرَ مَمْلوءَةٍ بِآلزُّجاجاتِ ، كَما تَراءى لِهُول وَهُوَ يُزيحُ آلقَشَّ آلَّذي يُغَطّيها .

خَرَجَ آلغَريبُ مُرْتَدِيًا قُبَّعَتَهُ وَسُتْرَتَهُ وَقُفّازَهُ وَمِعْطَفَهُ لِيَسْتَقْبِلَ عَرَبَةَ فِيرنْسايْد وَهُوَ مُتَبَرِّمٌ نافِدُ آلصَّبْرِ ، عَلى حينِ كانَ هُول يَتَحَدَّثُ إلى آلحَمّالِ قَبْلَ أَنْ يُشارِكَ في نَقْلِ آلأَمْتِعَةِ إلى آلدّاخِلِ . وَلَمْ يَفْطَنِ آلغَريبُ إلى كَلْبِ فِيرنْسايْد وَهُوَ يَتَشَمَّمُ ساقَيْ هُول .

قالَ آلغَريبُ : « عَجِّلْ بِهٰذِهِ آلصَّناديقِ . لَقَدِ آنْتَظَرْتُها طَويلاً . »

وَهَبَطَ ٱلدَّرَج مُتَّجِهًا نَحْوَ مُؤَخِّرَةِ ٱلعَرَبَةِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ ٱلعُلْبَةَ ٱلصَّغِيرَةَ .

وَلَـمْ يَكَدْ كَلْبُ فِيرنْسايْد يَراهُ حَتّى أَخذَ يُزَمْجِرُ . وَلَـمّا هَبَطَ ٱلدَّرَجَ مُسْرِعًا ٱنْقَضَّ ٱلكَلْبُ عَلى يَدِ ٱلغَرِيبِ مُباشَرَةً . وَصَرَخَ هُولر ، وَقَفَزَ إلى ٱلوَراءِ ، إذْ كانَ يَخْشى ٱلكِلابَ . وَصاحَ فِيرنْسايْد عَلى كَلْبِهِ : « أُرْقُدْ ! أُرْقُدْ ! » وَٱلْتَقَطَ سَوْطَهُ بِسُرْعَةٍ .

وَرَأَيا أَنَّ أَنْيابَ ٱلكَلْبِ أَخْطَأَتْ يَدَ ٱلغَرِيبِ ، وَسَمِعا رَكْلَةً ، ثُمَّ شاهَدا ٱلكَلْبَ يَقْفِزُ وَيَعَضُّ ساقَ ٱلغَرِيبِ ، وَسَمِعا صَوْتَ تَمَزُّقِ بَنْطَلونِهِ . وَعِنْدَئِذٍ هَوى فِيرنْسايْد بِٱلسَّوْطِ عَلى كَلْبِهِ ، فَعَوى مِنْ شِدَّةِ ٱلأَلَـمِ ، وَزَحَفَ تَحْتَ عَجلاتِ ٱلعَرَبَةِ .

وَقَعَ كُلُّ هٰذا خِلالَ نِصْفِ دَقِيقَةٍ ، وَلَـمْ يَتَكَلَّـمْ أَحَدٌ مِنْهُما ، بَلْ أَخذا يَصْرُخانِ ، وَنَظَرَ ٱلغَرِيبُ إلى قُفّازِهِ ٱلـمُـمَزَّقِ وَإلى ساقِهِ ؛ فَٱسْتَدارَ وَٱرْتَقى ٱلدَّرَجَ بِسُرْعَةٍ وَدَخَلَ ٱلفُنْدُقَ . وَسَمِعاهُ يَعْبُرُ ٱلـمَمَرَّ وَيَصْعَدُ ٱلدَّرَجَ إلى غُرْفَتِهِ .

قالَ فِيرنْسايْد وَهُوَ يَهْبِطُ مِنَ ٱلعَرَبَةِ وَسَوْطُهُ في يَدِهِ ، وَكانَ كَلْبُهُ يَرْقُبُهُ

مِنْ وَراءِ ٱلعَجَلَةِ : « يا لَكَ مِنْ مُتَوَحِّشٍ ! تعالَ هُنا ! تَعالَ هُنا وَإلّا . . . »

وَقَفَ هُول مُـحَمْلِقًا ، ثُمَّ قالَ : « لَقَدْ عَضَّهُ ٱلكَلْبُ ، وَيَحْسُنُ بي أَنْ أَذْهَبَ لأَراهُ . » وَمَضى وَراءَ ٱلغَريبِ ، وَٱلْتَقى زَوْجَتَهُ في ٱلـمَمَرِّ فَقالَ لَها : « لَقَدْ عَضَّهُ كَلْبُ ٱلـحَمّالِ . »

وَصَعِدَ عَلى ٱلفَوْرِ إلى ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَدَفَعَ بابَ غُرْفَةِ ٱلغَريبِ وَدَخَلَها .

كانَتِ ٱلسِّتارَةُ مُسْدَلَةً ، وَٱلغُرْفَةُ مُظْلِـمَةً . وَوَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى مَشْهَدٍ غَريبٍ : مَشْهَدِ ذِراعٍ لا يَدَ لَها تُشيرُ إلَيْهِ ، وَوَجْهٍ لَيْسَ فيهِ إلّا ثَلاثُ بُقَعٍ سَوْداءَ كَبيرَةٍ فَوْقَ شَيْءٍ أَبْيَضَ . وَفَجْأَةً أُصيبَ بِخَبْطَةٍ عَلى صَدْرِهِ أَلْقَتْ بِهِ خارِجَ ٱلغُرْفَةِ ، ثُمَّ ٱنْصَفَقَ ٱلبابُ في وَجْهِهِ ، وَأُغْلِقَ بِٱلـمِفْتاحِ .

حَدَثَ كُلُّ هٰذا بِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ لَمْ تُتِحْ لَهُ فُرْصَةً يَرى فيها أَيَّ شَيْءٍ بِوُضوحٍ : أَشْباحٌ تَحَرَّكَتْ ، وَخَبْطَةٌ في صَدْرِهِ ، وَدَوِيٌّ شَبيهٌ بِدَوِيِّ طَلْقَةٍ بُنْدُقِيَّةٍ . وَوَقَفَ في ٱلـمَمَرِّ ٱلـمُظْلِـمِ يَتَساءَلُ عَمّا رَأى .

بَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ مَضى إلى ٱلـجَـمْعِ ٱلَّذي ٱحْتَشَدَ خارِجَ ٱلفُنْدُقِ .

كانَ بَيْنَهُمْ فِيرنْسايْد يَرْوي ٱلقِصَّةَ كُلَّها لِلْـمَرَّةِ ٱلثّانِيَةِ ؛ ثُمَّ ٱلسَّيِّدَةُ هُول تَقولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ كَلْبِهِ أَنْ يَعَضَّ نُزَلاءَها ؛ وَكانَ هُناكَ أَيْضًا هَكْستَر صاحِبُ ٱلْـمَتْجَرِ ٱلواقِعِ عَلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلطَّريقِ يَطْرَحُ ٱلأَسْئِلَةَ ؛ ثُمَّ سانديْ وِدْجَرْز بِوَجْهِهِ ٱلْـمُتَجَهِّمِ ، بِٱلإِضافَةِ إِلى جَمْعٍ مِنَ ٱلنِّساءِ وَٱلأَطْفالِ ، كُلُّهُمْ يَتَحَدَّثونَ .

أَمّا ٱلسَّيِّدُ هُول فَكانَ يُحَمْلِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْلى ٱلدَّرَجِ وَيُنْصِتُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ لا يُصَدِّقُ أَنَّهُ رَأى في ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ أَشْياءَ شَديدَةَ ٱلغَرابَةِ تَحْدُثُ .

أَجابَ عَنْ سُؤالٍ وَجَّهَتْهُ لَهُ زَوْجَتُهُ : « يَقولُ إِنَّهُ في غَيْرِ حاجَةٍ إِلى ٱلْـمُساعَدَةِ ، وَيَحْسُنُ بِنا أَنْ نُدْخِلَ مَتاعَهُ إِلى ٱلفُنْدُقِ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ هَكْستَر : « يَنْبَغي أَنْ يُبادِرَ إِلى عِلاجِ ساقِهِ عَلى ٱلفَوْرِ . »

قالَتْ سَيِّدَةٌ مِنْ بَيْنِ ٱلْـجَمْعِ ٱلْـمُحْتَشِدِ : « لَوْ أَنّي مَكانُهُ لأَطْلَقْتُ ٱلنّارَ عَلى هٰذا ٱلكَلْبِ . هٰذا ما كُنْتُ أَفْعَلُهُ . »

وَفَجْأَةً عادَ ٱلكَلْبُ إِلى ٱلزَّمْجَرَةِ .

وَعَلا صَوْتٌ غاضِبٌ عِنْدَ مَدْخَلِ ٱلفُنْدُقِ يَقولُ : « أَسْرِعوا ! » وَإِذا بِٱلغَريبِ يَقِفُ عِنْدَ ٱلْـمَدْخَلِ ، وَياقَةُ سُتْرَتِهِ مَرْفوعَةٌ إِلى أَعْلى ، وَحافَةُ

قُبَّعَتِهِ مَرْخِيَّةٌ إلى أَسْفَلُ ، وَكانَ قَدْ بَدَّلَ بَنْطلونَهُ وَقُفّازَهُ .

قالَ : « كُلَّما عَجَّلْتُمْ بِإدْخالِ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ، زِدْتُمْ مِنْ سُروري . »

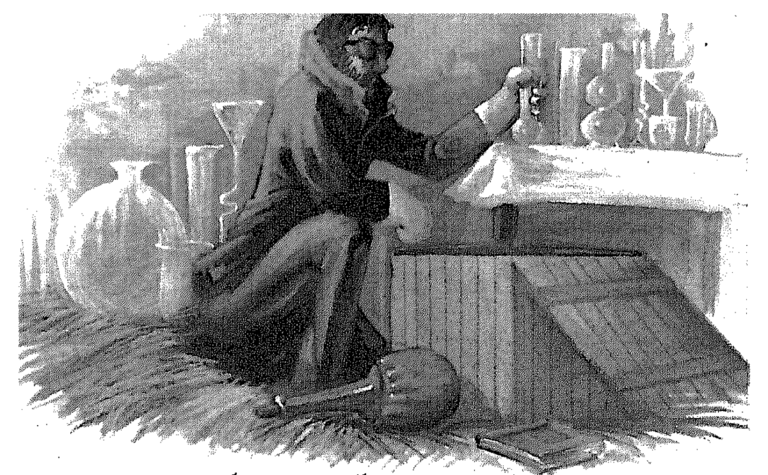
سَأَلَهُ فِيرِنْسايْد : « هَلْ أَصابَكَ أَذًى يا سَيِّدي ؟ إِنِّي آسِفٌ جِدًّا لأَنَّ ٱلكَلْبَ . . . »

أَجابَهُ ٱلغَريبُ : « كَلّا ! عَلى ٱلإِطْلاقِ ! إِنَّ جِلْدِيَ لَمْ يُجْرَحْ . أَسْرِعوا بِإدْخالِ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ . »

ما إِنْ وُضِعَ أَوَّلُ صُنْدوقٍ في ٱلرَّدْهَةِ حَتّى مَضى ٱلغَريبُ يَفْتَحُهُ ، وَيُبَعْثِرُ ٱلقَشَّ عَلى ٱلأَرْضِ وَهُوَ يُخْرِجُ مِنْهُ ٱلزُّجاجاتِ : وَكانَتْ زُجاجاتٍ صَغيرَةً سَميكَةً ، وَزُجاجاتٍ صَغيرَةً رَقيقَةً ، وَزُجاجاتٍ زَرْقاءَ ، وَزُجاجاتٍ مُسْتَديرَةً ، أَعْناقُها رَفيعَةٌ ، وَزُجاجاتٍ خَضْراءَ كَبيرَةً ، وَزُجاجاتٍ بَيْضاءَ كَبيرَةً ، وَزُجاجاتِ عَصيرٍ ، وَزُجاجاتٍ وَزُجاجاتٍ وَزُجاجاتٍ .

وَأَخَذَ ٱلغَريبُ يَصُفُّ ٱلزُّجاجاتِ صُفوفًا عَلى ٱلـمِنْضَدَةِ تَحْتَ ٱلنّافِذَةِ ، وَحَوْلَ جِدارِ ٱلرَّدْهَةِ ، وَفي كُلِّ مَكانٍ .

وَجيءَ بِٱلصَّناديقِ واحِدًا بَعْدَ ٱلآخَرِ ، وَكانَتْ كُلُّها مَـمْلوءَةً



بِٱلزُّجاجاتِ . وَأَفْرَغَ مِنَ ٱلصَّناديقِ سِتَّةً ، وَكَوَّمَ ٱلقَشَّ كَوْمًا عالِيًا فَوْقَ ٱلأَرْض وَفَوْقَ ٱلمائِدَةِ .

وَلَـمّا ٱنْتَهى ٱلغَريبُ مِنْ إفْراغِ ٱلصَّناديقِ مَضى إلى ٱلنّافِذَةِ ، وَشَرَعَ في ٱلعَمَلِ ، دونَ أَنْ يَحْفِلَ بِٱلقَشِّ ٱلـمُكَوَّمِ ، أَوْ بِٱلـمِدْفَأَةِ ٱلَّتي ٱنْطَفَأَتْ نيرانُها ، أَوْ بِصُنْدوقِ ٱلكُتُبِ ٱلَّذي كانَ خارِجَ ٱلفُنْدُقِ ، أَوْ بِٱلـحَقائِبِ وَٱلأَشْياءِ ٱلأُخرى ٱلَّتي نُقِلَتْ إلى غُرْفَتِهِ بِٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ .

وَلَـمّا أَحْضَرَتْ لَهُ ٱلسَّيِّدَةُ هُول طَعامَ ٱلغَداءِ وَهُوَ في حُـجْرَتِهِ ؛ لَـمْ يَسْمَعْ صَوْتَها إلاّ بَعْدَ أَنْ أَزاحَتْ مُعْظَمَ ٱلقَشِّ ، وَوَضَعَتِ ٱلطَّعامَ عَلى ٱلمائِدَةِ . وَعِنْدَئِذٍ ٱلْتَفَتَ إلَيْها نِصْفَ ٱلْتِفاتَةٍ ؛ ثُمَّ أَدارَ وَجْهَهُ عَنْها ، وَلٰكِنَّها

رَأَتْ أَنَّهُ خَلَعَ نَظّارَتَهُ ، وَكانَتْ مَوْضوعَةً أَمامَهُ عَلى آلمائِدَةِ ؛ وَبَدا لَها أَنَّهُ بِغَيْرِ عَيْنَيْنِ . وَلَبِسَ آلنَّظّارَةَ مَرَّةً أُخْرى ، وَآلْتَفَتَ إِلَيْها . وَهَمَّتْ بِإِبْداءِ آسْتِيائِها مِنَ آلقَشِّ آلَّذي عَلى أَرْضِيَّةِ آلغُرْفَةِ ، وَلٰكِنَّهُ سَبَقَها إِلى آلكَلامِ .

قالَ غاضِبًا كَعادَتِهِ : « أَوَدُّ أَلّا تَدْخُلي آلـحُجْرَةَ دونَ دَقِّ آلبابِ . »

قالَتْ : « لَقَدْ دَقَقْتُ آلبابَ ، وَلٰكِنْ . . . »

« أَثْناءَ آسْتِغْراقي في آلعَمَلِ لا أَقْبَلُ أَنْ . . . لا بُدَّ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكِ أَنْ . . . »

قالَتْ : « طَبْعًا يا سَيِّدي . لَكَ أَنْ تُغْلِقَ آلبابَ بِآلـمِفْتاحِ في أَيِّ وَقْتٍ تَشاءُ . »

قالَ الغَريبُ : « فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . »

قالَتْ : « هٰذا آلقَشُّ يا سَيِّدي ، إِذا أَذِنْتَ لي أَنْ أَقولَ . . . »

قاطَعَها قائِلًا : « لا تَقولي شَيْئًا ، وَإِذا كانَ آلقَشُّ يُضايِقُكِ فَأَضيفي ذٰلِكَ إِلى فاتورَةِ آلـحِسابِ . »

وَكانَ مِنَ آلغَرابَةِ بِـمَكانٍ ، وَهُوَ واقِفٌ أَمامَها بِطَبْعِهِ آلـحادِّ تُحيطُ بِهِ

آلزُّجاجاتُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ لِدَرَجَةِ أَنِ آرْتاعَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول بِشِدَّةٍ . وَلٰكِنَّها كانَتِ آمْرَأَةً حَكيمَةً فَقالَتْ : « أُريدُ إِذًا أَنْ أَعْرِفَ آلْـمَبْلَغَ آلَّذي تَعْتَقِدُ أَنَّهُ . . . »

« شِلِنٌ . . . أَضيفي شِلِنًا إِلى فاتورَتي.أَ لَيْسَ آلشِّلِنُ مَبْلَغًا كافِيًا ؟ »

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « لا بَأْسَ . » ثُمَّ أَخَذَتْ مِفْرَشَ آلمائِدَةِ ، وَشَرَعَتْ تَبْسُطُهُ فَوْقَها .

« إِذا كانَ هٰذا يُرْضيكِ ، فَمِنَ آلطَّبيعيِّ . . . »

اِقْتَضَبَ عِبارَتَهُ ، وَأَوْلاها ظَهْرَهُ ، وَجَلَسَ .

ظَلَّ آلغَريبُ طَوالَ آلعَصْرِ يَعْمَلُ صامِتًا وَآلبابُ موصَدٌ بِآلْـمِفْتاحِ . وَسُمِعَ مَرَّةً واحِدَةً صَوْتُ آصْطِدامِ آلزُّجاجاتِ مَعًا ، كَأَنَّ آلْـمِنْضَدَةَ قَدِ آرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ صَوْتُ تَهَشُّمِ زُجاجٍ يَسْقُطُ عَلى آلأَرْضِ . وَسُمِعَ بَعْدَ ذٰلِكَ وَقْعُ خُطُواتٍ تَعْدو بِسُرْعَةٍ جيئَةً وَذَهابًا في آلغُرْفَةِ ، وَخَشِيَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول أَنْ يَكونَ آلأَمْرُ خَطيرًا ، فَمَضَتْ إِلى آلبابِ وَأَنْصَتَتْ ، دونَ أَنْ تَحْفِلَ بِأَنْ تَطْرُقَهُ .

وَسَمِعَتْهُ يَصيحُ : « لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُواصِلَ آلعَمَلَ ! لا أَسْتَطيعُ أَنْ

أُواصِلَ ٱلعَمَلَ ! ثَلاثُمِئَةِ أَلْفٍ ، أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفٍ ! قَدْ يَسْتَغْرِقُ هٰذا مِنّي ٱلعُمْرَ كُلَّهُ ! الصَّبْرَ ! يالي مِنْ أَحْمَقَ ! »

وَسَمِعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول وَقْعَ أَقْدامٍ في غُرْفَةِ ٱلاسْتِقْبالِ ، فَلَمْ تَسْتَطِعِ ٱلبَقاءَ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمّا سَمِعَتْ . وَعِنْدَما عادَتْ وَجَدَتِ ٱلغُرْفَةَ ساكِنَةً مَرَّةً أُخرى ، بِٱسْتِثْناءِ صَريرٍ خافِتٍ يَصْدُرُ عَنْ مَقْعَدِهِ ، وَرَنينِ زُجاجَةٍ مِنْ حينٍ لآخَرَ . لَقَدِ ٱنْتَهى كُلُّ شَيْءٍ، وَعادَ ٱلغَريبُ يُزاوِلُ عَمَلَهُ .

بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ ، جاءَتْهُ بِٱلشّايِ ، وَرَأَتْ زُجاجًا مُحَطَّمًا في أَحَدِ أَرْكانِ ٱلغُرْفَةِ فَأَشارَتْ إِلَيْهِ . فَقالَ لَها : « أَضيفي هٰذا أَيْضًا إِلى فاتورَةِ ٱلحِسابِ . سَأَلْتُكِ بِٱللَّهِ أَلاّ تُزْعِجيني ! وَإِذا أَتْلَفْتُ شَيْئًا ، فَأَضيفيهِ إِلى ٱلحِسابِ . »

ثُمَّ مَضى يُواصِلُ ٱلكِتابَةَ .

كانَ فِيرنسايْد وَصاحِبُهُ تيدِي هَنْفِري في فُنْدُقٍ صَغيرٍ خارِجَ قَرْيَةِ أَيْبِنْغ . قالَ لَهُ : « سَأُفْضي لَكَ بِشَيْءٍ. »

سَأَلَهُ تيدِي هَنْفِري : « ما هُوَ؟ »

أجابَ : « الغَريبُ ! هٰذا آلرَّجُلُ آلَّذي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، وَآلَّذي عَضَّهُ كَلْبي . . . إنَّهُ أَسْوَدُ آلبَشَرَةِ ، أَوْ لَعَلَّ ساقَيْهِ وَحْدَهُما عَلى آلأَقَلِّ سَوْداوانِ . لَقَدْ رَأَيْتُ ذٰلِكَ مِنْ خِلالِ ثُقوبِ آلبَنْطَلونِ وَآلقُفّازِ آلـمُـمَزَّقَيْنِ . طَبْعًا كانَ آلـمُتَوَقَّعُ أَنْ نَرى شَيْئًا أَحْـمَرَ آللَّوْنِ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ وَلٰكِنْ ما رَأَيْناهُ لَـمْ يَكُنْ إلاّ سَوادًا . نَعَمْ ، إنَّهُ أَسْوَدُ آلبَشَرَةِ كَقُبَّعَتي هٰذِهِ . »

قالَ هَنْفِري : « يا إلٰـهـي ! إنَّ آلأَمْرَ لَعَجيبٌ ! إنَّ أَنْفَهُ أَحْـمَرُ كَأَنَّهُ طِلاءٌ أَحْـمَرُ آللَّونِ . »

قالَ فِيرنْسايْد : « هٰذا صَحيحٌ ، وَأَعْرِفُ ذٰلِكَ . وَسَأَقولُ لَكَ ما أُفَكِّرُ فيهِ : إنَّ هٰذا آلرَّجُلَ أَسْوَدُ في بَعْضِ أَجْزاءِ جِسْمِهِ ، وَأَبْيَضُ في أَجْزاءٍ أُخْرى ، وَلا يَجْرُؤُ عَلى إظْهارِ ذٰلِكَ . إنَّهُ مُوَلَّدٌ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ أَشياءَ مِنْ هٰذا آلقَبيلِ . وَهٰذا أَمْرٌ شائِعٌ في تَرْبِيَةِ آلـخَيْلِ كَما تَعْرِفُ . »

الفَصْلُ آلرّابعُ
السَّيِّدُ كاس يَتَحَدَّثُ إلى آلغَريبِ

نادِرًا ما كانَ آلغَريبُ يَخْرُجُ في آلنَّهارِ ، أمّا في آلـمَساءِ فَقَدْ دَأَبَ عَلى آلـخُروجِ مُتَدَثِّرًا حَتّى عَيْنَيْهِ ، سَواءٌ أَ كانَ آلـجَوُّ بارِدًا أَمْ غَيْرَ بارِدٍ ، وَكانَ دائِمًا يَخْتارُ آلطُّرُقَ آلـمُنْعَزِلَةَ . وَقَدْ فوجِئَ عامِلانِ ، كانا عائِدَيْنِ إلى مَنْزِلَيْهِما ، بِنَظّارَتِهِ وَوَجْهِهِ آلـمُضَمَّدِ تَحْتَ قُبَّعَتِهِ آلسَّوْداءِ آلكَبيرَةِ ، عِنْدَما خَرَجَ عَلَيْهِما مِنَ آلظَّلامِ .

وَذاتَ مَرَّةٍ كانَ تيدي هَنْفري خارِجًا في آلتّاسِعَةِ وَآلنِّصْفِ مِنْ أَحَدِ آلـمَتاجِرِ ، فَفَزِعَ لِرُؤْيَتِهِ رَأْسَ آلغَريبِ آلأَبْيَضَ آلـمُسْتَديرَ ـ لأَنَّهُ كانَ يَمْشي وَقُبَّعَتُهُ في يَدِهِ ـ يَلْـمَعُ في ضَوْءٍ آنْبَعَثَ فَجْأَةً مِنْ بابِ آلـمَتْجَرِ آلـمَفْتوحِ . وَلَـمْ يَكُنْ واضِحًا ما إذا كانَ آلغَريبُ يَكْرَهُ آلأَوْلادَ أَكْثَرَ مِـمّا يَكْرَهونَهُ ، وَلكِنْ مِـمّا لا شَكَّ فيهِ أَنَّهُ كانَ ثَمَّةَ كَراهِيَةٌ مُتَبادَلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

بِطَبيعَةِ آلحالِ كانَ آلنّاسُ يَتَحَدَّثونَ عَنْهُ في أَيْبِنْغ ، وَكانوا عاجِزينَ

عَنْ أَنْ يَعْرِفوا لَهُ عَمَلاً . قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول إِنَّهُ ٱكْتَشَفَ أَشْياءَ ، وَإِنَّ حادِثًا وَقَعَ لَهُ ، فَأَصْبَحَ يَكْرَهُ أَنْ يَرى ٱلنّاسُ وَجْهَهُ ٱلـمَليءَ بِٱلنُّدوبِ ٱلقَبيحَةِ .

وَقالَ ٱلبَعْضُ : « إِنَّهُ مُـجْرِمٌ هارِبٌ مِنَ ٱلشُّرْطَةِ . » وَقالَ آخَرونَ : « إِنَّ بَعْضَ أَجْزاءِ جِسْمِهِ أَبْيَضُ وَٱلبَعْضَ ٱلآخَرَ أَسْوَدُ ، وَإِنَّهُ لَوِ ٱخْتارَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ في ٱلأَسْواقِ لَـجَنى مِنْ وَراءِ ذٰلِكَ أَمْوالاً كَثيرَةً . » وَظَنَّ ٱلقَليلُ مِنَ ٱلنّاسِ أَنَّهُ مَـجْنونٌ لا يُؤْذي أَحَدًا . وَبَدَأَ أَخيرًا بَعْضُ ٱلنِّساءِ يَعْتَقِدْنَ أَنَّهُ شَبَحٌ أَوْ ساحِرٌ .

لَـمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ ، لأَنَّهُ كانَ دائِمًا غاضِبًا ، وَلَـمْ يُظْهِرْ أَيَّةَ مَوَدَّةٍ لأَحَدٍ . فَكانَ إِذا مَرَّ بِشَوارِعِ ٱلقَرْيَةِ تَجَنَّبَهُ ٱلنّاسُ ، وَإِذا مَضى في سَبيلِهِ رَفَعَ ٱلشُّبّانُ ياقاتِ مَعاطِفِهِمْ ، وَأَرْخَوْا حافاتِ قُبَّعاتِـهِمْ ، وَساروا خَلْفَهُ يَتَنَدَّرونَ بِهِ . أَمّا ٱلدُّكْتورُ كاس فَقَدْ أَبْدى ٱهْتِمامًا بِٱلضِّماداتِ وَٱلزُّجاجاتِ ، وَظَلَّ طَوالَ شَهْرَيْ إِبْريل وَمايو مُتَلَهِّفًا عَلى مُحادَثَةِ هٰذا ٱلغَريبِ . وَأَخيرًا ، وَفي أَحَدِ ٱلأَعْيادِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ لا يُطيقُ صَبْرًا ، فَمَضى لِزِيارَتِهِ . وَدَهِشَ حينَ وَجَدَ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ هُول حَتّى تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ لَـمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ٱسْمَ ضَيْفِهِ .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « لَقَدْ ذَكَرَ لِيَ ٱسْمًا ، وَلٰكِنَّنِي لَمْ أَسْمَعْهُ بِوُضوحٍ . » وَلَمْ تَكُنْ صادِقَةً في قَوْلِها ، فَقَدْ رَأَتْ أَنَّهُ مِنَ السُّخْفِ أَلاَّ تَعْرِفَ ٱسْمَ ٱلرَّجُلِ .

وَتَناهى إلى سَمْعِ كاس أَلْفاظُ شَتْمٍ وَسِبابٍ داخِلَ حُجْرَةِ ٱلجُلوسِ ، فَمَضى إلى ٱلبابِ وَدَقَّهُ وَدَخَلَ .

قالَ : « أَرْجو ٱلمَعْذِرَةَ لِاقْتِحامي حُجْرَتَكَ . » وَأَغْلَقَ ٱلبابَ خَلْفَهُ في وَجْهِ ٱلسَّيِّدَةِ هُول .

خِلالَ ٱلدَّقائِقِ ٱلعَشْرِ ٱلتّالِيَةِ ظَلَّتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول تَسْمَعُ أَصْواتًا ، أَعْقَبَتْها صَيْحَةُ دَهْشَةٍ ، ثُمَّ حَرَكَةُ أَقْدامٍ ، وَصَوْتُ مَقْعَدٍ يُلْقى جانِبًا ، وَضَحْكَةٌ ، وَوَقْعُ خُطُواتٍ تَتَّجِهُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ ٱلبابِ . وَظَهَرَ كاس شاحِبَ ٱلوَجْهِ ، جاحِظَ ٱلعَيْنَيْنِ . وَتَرَكَ وَراءَهُ ٱلبابَ مَفْتوحًا ، وَٱجْتازَ ٱلرَّدْهَةَ ، وَهَبَطَ ٱلدَّرَجَ دونَ أَنْ يَنْظُرَ إلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول . وَسَمِعَتْ وَقْعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ مُسْرِعُ ٱلخُطى عَبْرَ ٱلطَّريقِ وَقُبَّعَتُهُ في يَدِهِ .

كانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول واقِفَةً خَلْفَ مِنْضَدَةٍ تَتَطَلَّعُ إلى بابِ حُجْرَةِ ٱلجُلوسِ ٱلمَفْتوحِ ، ثُمَّ سَمِعَتِ ٱلرَّجُلَ ٱلغَريبَ يَضْحَكُ بِهُدوءٍ ،

وَطَرَقَ سَمْعَها بَعْدَ ذٰلِكَ وَقْعُ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَعْبُرُ ٱلغُرْفَةَ . وَلَـمْ يَكُنْ في وُسْعِها أَنْ تَرى وَجْهَهُ مِنَ ٱلـمَكانِ ٱلَّذي كانَتْ واقِفَةً فيهِ . وَأَغْلَقَ بابَ حُـجْرَةِ ٱلـجُلوسِ بِصَوْتٍ عالٍ ، وَخَيَّمَ ٱلسُّكونُ عَلى ٱلـمَكانِ مِنْ جَديدٍ .

مَضى كاس مِنْ فَوْرِهِ إلى بَنْتِنْغ ، رَجُلِ ٱلدّينِ في ٱلقَرْيَةِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ غُرْفَةَ مَكْتَبِهِ ٱلصَّغيرَةَ ، وَبَدَأَ حَديثَهُ قائِلاً : « هَلْ أَنا مَـجْنونٌ ؟ هَلْ أَبْدو رَجُلاً مَـجْنونًا ؟ »

سَأَلَهُ بَنْتِنْغ : « ماذا حَدَثَ ؟ »

« هٰذا ٱلرَّجُلُ . . . نَزيلُ ٱلفُنْدُقِ . . . »

« ما شَأْنُهُ ؟ »

اِرْتَمى ٱلطَّبيبُ عَلى أَحَدِ ٱلـمَقاعِدِ قائِلاً : « قَدِّمْ لي شَيْئًا أَشْرَبُهُ . »

وَعِنْدَما هَدَأَتْ أَعْصابُهُ ، بَعْدَ أَنْ تَناوَلَ كوبًا مِنْ عَصيرِ ٱلبُرْتُقالِ ، قالَ : « لَقَدْ دَخَلْتُ حُـجْرَتَهُ ، وَكانَ قَدْ وَضَعَ يَدَيْهِ في جَيْبَيْهِ ، وَجَلَسَ عَلى كُرْسِيِّهِ . وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّني سَمِعْتُ أَنَّهُ مُهْتَمٌّ بِبَعْضِ ٱلـمَسائِلِ ٱلعِلْـمِيَّةِ ، فَرَدَّ بِالإيْجابِ . وَحاوَلْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، فَٱسْتَشاطَ

غَضَبًا . . . ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ كانَتْ لَدَيْهِ وَرَقَةٌ . وَرَقَةٌ مُهِمَّةٌ ، بَلْ في غايَةِ ٱلأَهَمِّيَّةِ وَٱلقيمَةِ . وَهِيَ عِبارَةٌ عَنْ قائِمَةٍ بِـ . . . وَسَأَلْتُهُ : هَلْ تَحْوي أَسْماءَ أَدْوِيَةٍ ؟ فَكانَ جَوابُهُ : وَ لِـمَ تُريدُ أَنْ تَعْرِفَ ؟ وعَلَى أَيَّةِ حالٍ كانَتْ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةُ ذاتَ قيمَةٍ عَظيمَةٍ . وَقَدْ قَرَأَها ، وَوَضَعَها عَلى ٱلـمِنْضَدَةِ ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنْها . وَهَبَّتْ ريحٌ فَأَطارَتِ ٱلوَرَقَةَ ، وَأَلْقَتْ بِها في نيرانِ ٱلـمِدْفَأَةِ وَٱحْتَرَقَتْ ، وَرَأى دُخانَها يَتَصاعَدُ في ٱلـمِدْخَنَةِ . وَبَيْنَما كانَ يَحْكي لِي هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ رَفَعَ ذِراعَهُ ، وَكانَ كُمُّهُ فارِغًا ، وَكانَ بِوُسْعي أَنْ أَرى خِلالَ ٱلكُمِّ كُلِّهِ ، وَلَسْتُ أَدْري ما ٱلَّذي يَجْعَلُ ٱلكُمَّ مَرْفوعًا وَمَفْتوحًا ما لَـمْ يَكُنْ بِداخِلِهِ شَيْءٌ ؟

« سَأَلْتُهُ : "كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُحَرِّكَ كُمًّا فارِغًا عَلى هٰذا النَّحْوِ ؟ "

« فَقالَ : "كُمًّا فارِغًا ؟ "

« قُلْتُ : "نَعَمْ ، كُمًّا فارِغًا . "

« قالَ : "إِذًا فَهُوَ كُمٌّ فارِغٌ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ إِنَّكَ رَأَيْتَهُ كُمًّا فارِغًا . "

« نَهَضَ واقِفًا ، فَنَهَضْتُ مِثْلَهُ . وَأَقْبَلَ نَحْوي في ثَلاثِ خُطُواتٍ بَطيئَةٍ ، وَوَقَفَ بِجانِبي تَمامًا .

« قال : "هَلْ قُلْتَ إنَّهُ كُمٌّ فارِغٌ" فَأَجَبْتُ : "بِكُلِّ تأْكيدٍ ." وفي هُدوءٍ تامٍّ أَخْرَجَ كُمَّهُ مِنْ جَيْبِهِ ثانِيَةً ، وَرَفَعَ ذِراعَهُ أَمامَ وَجْهي ، كَأَنَّما يُريدُ أَنْ يُرِيَني إيّاها مَرَّةً أُخْرى ، وَفَعَلَ ذٰلِكَ بِبُطْءٍ شَديدٍ لِلْغايَةِ . وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ مَبهورَ ٱلأَنْفاسِ ، وَقُلْتُ وَأَنا أَجْلو صَوْتِيَ ٱلـمُـحْتَبِسَ : "نَعَمْ ، إنَّهُ فارِغٌ لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ."

« بَدَأَ ٱلـخَوْفُ يُداخِلُني ، فَقَدْ نَفَذَ بَصَري في ٱلكُمِّ تَمامًا . وَقامَ بِـمَدِّهِ نَحْوي مُباشَرَةً وَبِبُطْءٍ شَديدٍ ـ عَلى هٰذا النَّحْوِ ـ حَتّى صارَ عَلى بُعْدِ بِضْعَةِ سَنْتيمِتْراتٍ مِنْ وَجْهي . وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ كُمًّا فارِغًا يَقْتَرِبُ مِنْكَ بِتِلْكَ ٱلطَّريقَةِ ! وَعِنْدَئِذٍ . . . »



« ثُمَّ ماذا ؟ »

« جَذَبَ أَنْفِيَ شيَءٌ شَعَرْتُ كَأَنَّهُ سَبّابَةٌ وإِبْهامٌ . »

أَخَذَ بَنْتِنْغ يَضْحَكُ .

قالَ كاس : « لَـمْ يَكُنْ في آلكُمِّ شيَءٌ! » وَآرْتَفَعَ صَوْتُهُ حَتّى صارَ صُراخًا وَهُوَ يَنْطِقُ بِكَلِـمَةِ آلكُمِّ .

وَواصَلَ آلطَّبيبُ حَديثَهُ : « لَكَ أَنْ تَضْحَكَ كَما تَشاءُ ، وَلٰكِنِّي لا أَكْتُمُكَ آلقَوْلَ إِنِّي كُنْتُ مَذْعورًا ، فَضَرَبْتُ كُمَّهُ بِشِدَّةٍ ، وَآسْتَدَرْتُ وَغادَرْتُ آلغُرْفَةَ عَدْوًا ، وَتَرَكْتُهُ . . . »

تَوَقَّفَ كاس عَنِ آلـحَديثِ ، وَكانَ واضِحًا أَنَّهُ خائِفٌ ، وَآسْتَدارَ في يَأْسٍ وَقُنوطٍ وَصَبَّ لِنَفْسِهِ كوبًا آخَرَ مِنْ عَصيرِ آلبُرْتُقالِ ، ثُمَّ قالَ : « أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّني عِنْدَما ضَرَبْتُ كُمَّهُ ، شَعَرْتُ كَأَنَّني أَضْرِبُ ذِراعًا حَقيقِيَّةً . وَمَعَ ذٰلِكَ لَـمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَيَّةُ ذِراعٍ ! »

فَكَّرَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ في آلأَمْرِ ، وَقالَ : « إِنَّها حِكايَةٌ غَريبَةٌ جِدًّا . »

وَبَدَتْ عَلى مَلامِـحِهِ عَلاماتُ آلـحِكْمَةِ وَآلوَقارِ وَهُوَ يُكَرِّرُ قَوْلَهُ : « إِنَّها حَقًّا حِكايَةٌ غَريبَةٌ جِدًّا . »

الفَصْلُ ٱلخامِسُ

السَّرِقَةُ

وَقَعَتْ سَرِقَةٌ في بَيْتِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ في ٱلسّاعاتِ ٱلأولى مِنْ صَباحِ يَوْمِ ٱلاثْنَيْنِ ٱلتّالي لِمِهْرَجانِ ٱلرَّبيعِ ٱلَّذي تُقيمُهُ قَرْيَةُ أَيْبِنْغ . وَيَبْدو أَنَّ زَوْجَةَ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ صَحَتْ فَجْأَةً في لَحَظاتِ ٱلسُّكونِ ٱلَّتي تَسْبِقُ شُروقَ ٱلشَّمْسِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَها إِحْساسٌ قَوِيٌّ بِأَنَّ بابَ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ قَدْ فُتِحَ ثُمَّ أُغْلِقَ . في ٱلبِدايَةِ لَمْ توقِظْ زَوْجَها ، بَلْ جَلَسَتْ في ٱلفِراشِ تُرْهِفُ ٱلسَّمْعَ . ثُمَّ سَمِعَتْ بِوُضوحٍ وَقْعَ أَقْدامٍ حافِيَةٍ آتِيَةً مِنَ ٱلحُجْرَةِ ٱلمُجاوِرَةِ ، تَسيرُ في ٱلمَمْشى مُتَّجِهَةً إلى ٱلدَّرَجِ . وَعِنْدَما أَيْقَنَتِ ٱلأَمْرَ ، بادَرَتْ إلى إيقاظِ زَوْجِها ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ بِأَقْصى ما ٱسْتَطاعَتْ مِنْ هُدوءٍ . وَلَمْ يُشْعِلْ زَوْجُها ٱلمِصْباحَ ، وَإِنَّما تَناوَلَ نَظّارَتَهُ وَلَبِسَها ، وَٱرْتَدى خُفَّيْنِ خَفيفَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْ حُجْرَةِ ٱلنَّوْمِ لِيُنْصِتَ . وَسَمِعَ بِوُضوحٍ شَديدٍ خُطُواتِ شَخْصٍ يَتَحَرَّكُ في حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ في ٱلطّابَقِ

ٱلأرْضِيِّ ، ثُمَّ سَمِعَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَطْسَةً قَوِيَّةً .

عِنْدَئِذٍ عادَ إلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَتَسَلَّحَ بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ في ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَهَبَطَ ٱلدَّرَجَ بِأَقْصى ما يَسْتَطيعُ مِنْ سُكونٍ ، في حينِ أَنَّ زَوْجَتَهُ وَقَفَتْ أَعْلى ٱلدَّرَجِ .

كانَتِ ٱلسّاعَةُ إذْ ذاكَ حَوالى ٱلرّابِعَةِ ، وَقَدْ تَبَدَّدَتْ آخِرُ ظُلُماتِ ٱللَّيْلِ . وَكانَ يُضيءُ ٱلـمَمْشى نورٌ خافِتٌ ، وَرَأى بابَ حُجْرَةِ ٱلـمَكْتَبِ مُوارَبًا . كانَ كُلُّ شَيْءٍ ساكِنًا فيما عَدا صَريرَ ٱلدَّرَجِ تَحْتَ قَدَمَيِ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، وَٱلـحَرَكاتِ ٱلخافِتَةَ في حُجْرَةِ ٱلـمَكْتَبِ . وَسَمِعَ صَوْتَ دُرْجٍ يُفْتَحُ ، ثُمَّ خَشْخَشَةَ أَوْراقٍ ، وَبَعْدَها سَمِعَ صَوْتًا يَلْعَنُ وَيَسُبُّ ، ثُمَّ صَوْتَ عودِ ثِقابٍ يُشْعَلُ ، وَعِنْدَئِذٍ غَمَرَ ٱلـحُجْرَةَ ضَوْءٌ أَصْفَرُ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَقْتَئِذٍ في ٱلرَّدْهَةِ ، وَمِنْ خِلالِ بابِ ٱلغُرْفَةِ ٱلموارَبِ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَرى ٱلـمَكْتَبَ ، وَدُرْجًا مَفْتوحًا ، وَشَمْعَةً مُضاءَةً فَوْقَ ٱلـمَكْتَبِ . بَيْدَ أَنَّهُ لَـمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَنْ يَرى ٱللِّصَّ . وَظَلَّ واقِفًا في ٱلرَّدْهَةِ لا يَدْري ماذا يَفْعَلُ . أَمّا زَوْجَتُهُ فَقَدْ تَسَلَّلَتْ وَراءَهُ بِبُطْءٍ ، شاحِبَةَ ٱلوَجْهِ جامِدَةَ ٱلقَسَماتِ .

وَسَمِعَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَزَوْجَتُهُ رَنينَ نُقودٍ ، وَأَدْرَكا أَنَّ ٱللِّصَّ عَثَرَ عَلى

نَفَقاتِ آلـمَنْزِلِ ، وَهِيَ جُنَيْهانِ وَعَشَرَةُ شِلِناتٍ ، ذَهَبًا وَفِضَّةً . وَأَثارَ هٰذا آلصَّوْتُ غَضَبَ آلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، فَشَدَّ قَبْضَتَهُ عَلى قَضيبِ تَقْليبِ آلنّارِ ، وَجَرى داخِلًا إلى آلغُرْفَةِ تَتْبَعُهُ زَوْجَتُهُ .



قالَ لَها : « تَعالَيْ يا عَزيزَتي . . . » وَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلكَلامِ لأَنَّ ٱلـحُجْرَةَ كانَتْ خالِيَةً تَمامًا .

وَمَعَ ذٰلِكَ كانا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُما سَمِعا شَخْصًا يَتَحَرَّكُ في ٱلـحُجْرَةِ . وَلَبِثا واقِفَيْنِ نِصْفَ دَقيقَةٍ ، ٱجْتازَتْ بَعْدَها ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ ٱلـحُجْرَةَ ، وَنَظَرتْ وَراءَ ٱلسِّتارِ عَلى حينَ نَظَرَ زَوْجُها تَحْتَ ٱلـمَكْتَبِ وَفي داخِلِ ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ يُلَوِّحُ في ٱلظَّلامِ بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ . ثُمَّ وَقَفَ ٱلاثْنانِ ساكِنَيْنِ وَٱلدَّهْشَةُ في عُيونِـهِما .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ : « إِنّي واثِقَةٌ تَمامًا بِأَنَّ . . . »

قاطَعَها ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ قائِلًا : « وَٱلشَّمْعَةُ ! مَنِ ٱلَّذي أَضاءَ ٱلشَّمْعَةَ ؟ »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ : « وَٱلدُّرْجُ ! لَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلنُّقودُ ! »

وَأَسْرَعَتْ إِلى مَدْخَلِ ٱلبَيْتِ .

قالَتْ : « مَنِ ٱلَّذي . . . »

وَسَمِعا عَطْسَةً قَوِيَّةً في ٱلـمَمْشى ، فَٱنْدَفَعَ ٱلاثْنانِ خارِجَيْنِ ، وَعِنْدَئِذٍ ٱنْصَفَقَ بابُ ٱلـمَطْبَخِ ، فَقالَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « أَحْضِري

آلشَّمْعَةَ . » ثُمَّ مَشى أَمامَها .

وَلَـمّا فَتَحَ بابَ آلـمَطْبَخِ رَأى آلبابَ آلـخَلْفِيَّ يَنْفَتِحُ ، وَضَوْءَ آلشُّروقِ يَكْشِفُ آلـحَديقَةَ أَمامَ عَيْنَيْهِ . وَكانَ موقِنًا أَنَّ أَحَدًا لَـمْ يَخْرُجْ مِنْ ذٰلِكَ آلبابِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فُتِحَ آلبابُ ، وَلَبِثَ مَفْتوحًا بُرْهَةً ، ثُمَّ آنْصَفَقَ بِشِدَّةٍ .

خَرَجا إلى آلـحَديقَةِ يُفَتِّشانِها ، ثُمَّ آرْتَدّا إلى آلـمَطْبَخِ عائِدَيْنِ ، وَكانَ آلـمَكانُ خالِيًا . وَأَغْلَقا آلبابَ آلـخَلْفِيَّ بِآلـمِزْلاجِ ، وَفَتَّشا آلـمَطْبَخَ وَجَميعَ آلغُرَفِ تَفْتيشًا دَقيقًا ، فَلَـمْ يَجِدا أَحَدًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ قاما بِتَفْتيشِ آلطّابَقَيْنِ آلعُلْوِيِّ وَآلأَرْضِيِّ .

بَزَغَ ضَوْءُ آلنَّهارِ وَالرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ يُفَتِّشانِ آلبَيْتَ عَلى نورِ آلشَّمْعَةِ آلذّابِلِ .

قالَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « لَقَدْ قُلْتُ مِرارًا وَتَكْرارًا إنَّهُ مِنْ بَيْنِ جَميعِ آلأَحْداثِ آلـمُثيرَةِ لِلدَّهْشَةِ . . . »

قاطَعَتْهُ آلسَّيِّدَةُ بَنْتِنْغ قائِلَةً : « إنَّ آلخادِمَةَ آتِيَةٌ يا عَزيزي ، فَآنْتَظِرْ هُنا حَتّى تَدْخُلَ آلـمَطْبَخَ ، ثُمَّ آصْعَدْ إلى آلطّابَقِ آلعُلْوِيِّ . »

الفَصْلُ السّادِسُ
الأَثاثُ ٱلَّذي مَسَّهُ ٱلـجُنونُ

حينَ نَزَلَ هُول إلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ في ٱلسّاعاتِ ٱلـمُبَكِّرَةِ مِنَ ٱلاثْنَيْنِ ٱلتّالي لِـمِهْرَجانِ ٱلرَّبيعِ ، لاحَظَ أَنَّ بابَ حُـجْرَةِ ٱلغريبِ مَفْتوحٌ ، وَأَنَّ ٱلبابَ ٱلأَمامِيَّ لَـمْ يَكُنْ مُغْلَقًا بِٱلـمِزْلاجِ . وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ في ٱللَّيْلَةِ ٱلسّابِقَةِ كانَ مُمْسِكًا بِٱلشَّمْعَةِ يُنيرُ لِزَوْجَتِهِ ٱلـمَكانَ وَهِيَ توصِدُ ٱلبابَ بِٱلـمِزْلاجِ . وَلَـمّا رَأى هٰذا وَقَفَ مَكانَهُ ، وَرَجَعَ وَصَعِدَ ٱلدَّرَجَ إلى ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ وَدَقَّ بابَ حُجْرَةِ ٱلغريبِ فَلَـمْ يَسْمَعْ رَدًّا . فَدَقَّ ٱلبابَ مَرَّةً أُخْرى ، ثُمَّ دَفَعَ ٱلبابَ فَٱنْفَتَحَ ، وَدَخَلَ ٱلـحُجْرَةَ .

كانَ ٱلأَمْرُ كَما تَوَقَّعَ : رَأى ٱلفِراشَ خالِيًا ، وَكَذٰلِكَ ٱلغُرْفَةَ . وَأَغْرَبُ مِنْ هٰذا أَنَّهُ رَأى مَلابِسَ ٱلغَريبِ مُتَناثِرَةً عَلى ٱلـمَقْعَدِ وَعَلى ٱلفِراشِ ، وَهِيَ ٱلـمَلابِسُ ٱلوَحيدَةُ ٱلَّتي يَمْلِكُها ٱلضَّيْفُ ـ بِقَدْرِ عِلْـمِهِ ـ وَرَأى كَذٰلِكَ ٱلضِّماداتِ . أَمّا قُبَّعَتُهُ ٱلكَبيرَةُ فَكانَتْ مُعَلَّقَةً عَلى عَمودِ ٱلسَّريرِ .

وَبَيْنَما كانَ هُول واقِفًا في آلـحُجْرَةِ سَمِعَ صَوْتَ زَوْجَتِهِ آتِيًا مِنَ آلـمَطْبَخِ في آلطّابَقِ آلسُّفْليِّ ، فَآسْتَدارَ وَأَسْرَعَ بِآلنُّزول إلَيْها .

قالَ : « جيني ! إنَّهُ غَيْرُ مَوْجودٍ في حُجْرَتِهِ ، وَآلبابُ آلأماميُّ غَيْرُ موصَدٍ بِآلـمِزْلاجِ . »

لَـمْ تُدْرِكِ آلسَّيِّدَةُ هُول في آلبِدايَةِ ما يَرْمي إلَيْهِ ، وَلٰكِنَّها حينَ فَهِمَتْ أَصَرَّتْ عَلى أَنْ تَرى آلـحُجْرَةَ آلخالِيَةَ بِنَفْسِها . وَتَقَدَّمَها هُول وَهُوَ يَقولُ : « إنْ لَـمْ يَكُنْ في آلـحُجْرَةِ ، فَإِنَّ مَلابِسَهُ فيها . وَلٰكِنْ ماذا عَساهُ يَفْعَلُ بِغَيْرِ مَلابِسِهِ ؟ »

حينَ خَرَجا مِنَ آلـمَطْبَخِ خُيِّلَ إلَيْهِما أَنَّهُما سَمِعا آلبابَ آلأمامِيَّ يُفْتَحُ وَيُغْلَقُ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما رَأَياهُ موصَدًا ، وَلَـمْ يَرَيا شَيْئًا عِنْدَهُ ، لَـمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُما كَلِـمَةً واحِدَةً لِصاحِبِهِ في ذٰلِكَ آلوَقْتِ .

أَسْرَعَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول تَتَقَدَّمُ زَوْجَها في آلـمَمْشى ، وَصَعِدَتِ آلدَّرَجَ رَكْضًا . وَسَمِعَتْ شَخْصًا يَعْطِسُ عَلى آلسُّلَّمِ . وَكانَ هُول صاعِدًا في أَعْقابِها وَيَبْعُدُ عَنْها سِتَّ دَرَجاتٍ ، فَظَنَّ أَنَّها هِيَ آلَّتي عَطَسَتْ . أَمّا هِيَ - وَهِيَ آلَّتي تَتَقَدَّمُهُ - فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَها هُوَ آلَّذي عَطَسَ .

دَفَعَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول بابَ ٱلغُرْفَةِ بِقُوَّةٍ فَفَتَحَتْهُ ، وَوَقَفَتْ تُديرُ بَصَرَها في أَرْجاءِ ٱلـحُجْرَةِ ، وَقالَتْ : « ما أَغْرَبَ هٰذا ! »

سَمِعَتْ سُعالاً بَدا لَها أَنَّهُ قَريبٌ مِنْها ، فَٱسْتَدارَتْ ، وَأَدْهَشَها أَنْ تَرى هُول بَعيدًا عَنْها عِنْدَ رَأْسِ ٱلسُّلَّـمِ ، وَلٰكِنَّهُ جاءَ إِلَيْها بَعْدَ قَليلٍ . وَٱنْحَنَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول فَوْقَ ٱلفِراشِ ، وَدَسَّتْ يَدَها تَحْتَ ٱلوِسادَةِ ، ثُمَّ تَحْتَ ٱلأَغْطِيَةِ ، وَقالَتْ : « إِنَّ ٱلـمَكانَيْنِ بارِدانِ ، فَلا بُدَّ أَنَّهُ قامَ مُنْذُ ساعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ . »

وَبَيْنَما كانَتْ تَفْعَلُ هٰذا ، حَدَثَ ما لَـمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهُ أَبَدًا : فَقَدْ جَمَعَتْ أَغْطِيَةُ ٱلفِراشِ نَفْسَها ، وَتَكَوَّمَتْ فَجْأَةً فيما يُشْبِهُ تَلًّا ، ثُمَّ قَفَزَتْ بِعُنْفٍ بَعيدًا عَنِ ٱلفِراشِ ، كَأَنَّما أَلْقَتْ بِها يَدٌ خَفِيَّةٌ . أَمّا قُبَّعَةُ ٱلغَريبِ فَقَدْ قَفَزَتْ مِنْ فَوْقِ عَمودِ ٱلسَّريرِ ، وَطارَتْ في ٱلـهَواءِ ، وَٱصْطَدَمَتْ مُباشَرَةً بِوَجْهِ ٱلسَّيِّدَةِ هُول . وَبَعْدَ ذٰلِكَ طارَتْ صابونَةٌ مِنْ فَوْقِ ٱلـحَوْضِ ، وَأَلْقى ٱلـمَقْعَدُ أَوَّلاً مِعْطَفَ ٱلغَريبِ وَسِرْوالَهُ عَلى ٱلأَرْضِ ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ مِنَ ٱلـمَقْعَدِ ضِحْكَةٌ عالِيَةٌ شَديدَةُ ٱلشَّبَهِ بِضِحْكَةِ ٱلغَريبِ ، ثُمَّ ٱنْقَلَبَ ٱلـمَقْعَدُ بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ أَرْجُلُهُ ٱلأَرْبَعُ مُوَجَّهَةً إِلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول ، كَأَنَّما تَتَّخِذُ مِنْها هَدَفًا ، ثُمَّ ٱنْدَفَعَتْ نَحْوَها بِسُرْعَةٍ ، فَصَرَخَتْ وَوَلَّتْ هارِبَةً .

وَٱسْتَقَرَّتْ قَوائِمُ ٱلـمَقْعَدِ فَوْقَ ظَهْرِها بِلُطْفٍ وَثَباتٍ ، وَدَفَعَتْ بِها وَبِزَوْجِها إِلى خارِجِ ٱلـحُجْرَةِ ، ثُمَّ ٱنْصَفَقَ ٱلبابُ وَراءَهُما بِعُنْفٍ ، وَأُغْلِقَ بِٱلمِفْتاحِ . وَبَدا أَنَّ ٱلـمَقْعَدَ وَٱلفِراشَ أَخَذا يَرْقُصانِ لِلَحْظَةٍ ، وَفَجْأَةً سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ.

كادَ أَنْ يُغْشى عَلى ٱلسَّيِّدَةِ هُول وَهِيَ في ٱلـمَمْشى بَيْنَ ذِراعَيْ



زَوْجِها . وَٱسْتَطاعَ ٱلسَّيِّدُ هُول وَمِيلِـي ـ وَكانَتْ قَدِ ٱرْتَدَتْ ثِيابَها في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ ـ أَنْ يُنْزِلاها إلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ .

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « إنَّها أَرْواحٌ ! إنّي أَعْرِفُ أَنَّها أَرْواحٌ ! لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْها في ٱلـصُّحُفِ . مَوائِدُ وَمَقاعِدُ تَرْقُصُ وَتَتَطايَرُ ! »

وَواصَلَتْ حَديثَها قائِلَةً : « أَغْلِقْ دونَهُ ٱلبابَ ، وَلا تَدَعْهُ يَرْجِعْ مَرَّةً أُخْرى . . . لَقَدْ خَمَّنْتُ ذٰلِكَ تَقْريبًا . . . كانَ يَنْبَغي أَنْ أَعْرِفَ هٰذا . . . هٰذِهِ ٱلعُيونُ ، وَهٰذا ٱلرَّأْسُ ٱلـمُضَمَّدُ ، وَعَدَمُ قِيامِهِ بِٱلصَّلاةِ . . . وَكُلُّ هٰذِهِ ٱلزُّجاجاتِ . . . لَقَدْ أَسْكَنَ ٱلأَرْواحَ ٱلأَثاثَ . . . ياإلٰـهي ! أَثاثِيَ ٱلقَديمَ ٱلغالي ! لَقَدْ كانَتْ أُمِّيَ ٱلعَزيزَةُ مُعْتادَةً أَنْ تَجْلِسَ عَلى هٰذا ٱلـمَقْعَدِ عِنْدَما كُنْتُ صَغيرَةً ، وَٱلآنَ يَرْتَفِعُ في وَجْهي ! »

وَأَرْسَلا مِيلِـي عَبْرَ ٱلشّارِعِ لِتوقِظَ ٱلسَّيِّدَ ساندي وِدْجَرْز في ٱلسّاعَةِ ٱلخامِسَةِ صَباحًا .

كانَ ٱلسَّيِّدُ وِدْجَرْز رَجُلًا ذَكِيًّا حَصيفًا .

قالَ : « إنَّهُ سِحْرٌ . »

وَحينَ جاءَ إلى ٱلفُنْدُقِ كانَ مُنْزَعِجًا لِلْغايَةِ . وَسَأَلاهُ أَنْ يَصْعَدَ إلى

ٱلغُرْفَةِ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلى ، وَلٰكِنَّهُ بَدا مُتَأَنِّيًا مُتَباطِئًا ، وَآثَرَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِما في ٱلـمَمْشى . وَعِنْدَئِذٍ جاءَ ٱلسَّيِّدُ هَكْستَر ، وَشارَكَهُمُ ٱلـحَديثَ . وَجَرى حِوارٌ طَويلٌ ، دونَ عَمَلِ شَيْءٍ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ ساندي وِدْجَرْز : « فَلْنَسْتَعْرِضِ ٱلـحَقائِقَ أَوَّلاً ، وَلْنَتَأَكَّدْ مِنْ أَنَّنا عَلى صَوابٍ إِذا ٱقْتَحَمْنا بابَ ٱلغُرْفَةِ . »

وَفَجْأَةً ، وَبِطَريقَةٍ تُثيرُ ٱلدَّهْشَةَ ، فُتِحَ بابُ ٱلغُرْفَةِ في ٱلطّابَقِ ٱلأَعْلىٰ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ رَأَوُا ٱلغَريبَ يَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ مُتَلَفِّعًا كَعادَتِهِ ، وَهُوَ يُحَـمْلِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ خِلالِ نَظّارَتِهِ ٱلكَبيرَةِ . وَكانَ يَنْزِلُ بِبُطْءٍ وَجُمودٍ مُـحَمْلِقًا طَوالَ ٱلوَقْتِ . وَٱجْتازَ ٱلـمَمْشى وَهُوَ لا يَزالُ يُحَـمْلِقُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ .

دَخَلَ ٱلبَهْوَ ، وَفَجْأَةً أَغْلَقَ ٱلبابَ في وُجوهِهِمْ غاضِبًا . لَـمْ يَتَفَوَّهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِـمَةٍ حَتّى تَلاشى صَدى ٱنْصِفاقِ ٱلبابِ ، وَراحَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَتَفَرَّسُ في وَجْهِ صاحِبِهِ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ وِدْجَرْز : « لَـمْ أَرَ في حَياتي شَيْئًا مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ . . . » بَدا أَشَدَّ ٱنْزِعاجًا عَنْ ذي قَبْلُ . وَقالَ مُوَجِّهًا ٱلـحَديثَ إِلى ٱلسَّيِّدِ هُول :

« لَوْ أَنَّني مَكانَكَ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَحَدَّثْتُهُ في آلأَمْرِ . . . يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَهُ إيضاحًا . »

وَتَطَلَّبَ آلأَمْرُ بَعْضَ آلوَقْتِ مِنَ آلسَّيِّدِ هُول لِيَقومَ بِآلمُهِمَّةِ . وَقَرَعَ آلبابَ أَخيرًا وَفَتَحَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ ، وَلَمْ يَزِدْ في قَوْلِهِ عَلى : « مَعْذِرَةً ! »

فَقالَ لَهُ آلغَريبُ : « اِذْهَبْ إلى آلجَحيمِ ! وَأَقْفِلْ هٰذا آلبابَ وَراءَكَ ! »

وَكانَ هٰذا كُلَّ شَيْءٍ.

الفَصْلُ آلسّابِعُ
اِنْكِشافُ أَمْرِ آلغَريبِ

في آلخامِسَةِ وَآلنِّصْفِ صَباحًا دَخَلَ آلغَريبُ إلى رَدْهَةِ فُنْدُقِ " العَرَبة وَآلـجِياد " ، وَلَبِثَ هُناكَ حَتّى مُنْتَصَفِ آلنَّهارِ ، وَآلسَّتائِرُ مِنْ حَوْلِهِ مُسْدَلَةٌ ، وَآلبابُ مُغْلَقٌ ، وَلَـمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُ أَحَدٌ .

لَـمْ يَتَناوَلْ شَيْئًا مِنَ آلطَّعامِ طَوالَ ذٰلِكَ آلوَقْتِ . وَدَقَّ آلـجَرَسَ ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَفي آلـمَرَّةِ آلثّالِثَةِ جاءَتِ آلدَّقَّةُ عالِيَةً وَطَويلَةً ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ لَـمْ يُلَبِّ نِداءَهُ أَحَدٌ .

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « أَلَـمْ يَقُلْ لَنا أَنْ نَذْهَبَ إلى آلـجَحيمِ ؟ ! »

وَفي آلحالِ بَلَغَهُمْ نَبَأُ آلسَّرِقَةِ آلَّتي وَقَعَتْ في مَنْزِلِ آلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ، فَجَعَلَهُمْ هٰذا آلنَّبَأُ يُفَكِّرونَ . وَمَضى هُول وَوِدْجَرْز لِلْبَحْثِ عَنِ آلسَّيِّدِ شَكِلْفُورْث لِاسْتِشارَتِهِ في آلأَمْرِ . وَلَـمْ يَصْعَدْ أَحَدٌ إلى آلطّابَقِ آلأَعْلى ، وَلَـمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ ما كانَ يَفْعَلُهُ آلغَريبُ . وَكانَ يَذْرَعُ آلأَرْضَ مِنْ حينٍ

لِآخَرَ جِيئَةً وَذَهابًا بِخُطًى سَريعَةٍ ، وَسَمِعوهُ يَلْعَنُ ساخِطًا ، وَيُمَزِّقُ أَوْراقًا ، وَيُهَشِّمُ زُجاجاتٍ .

وَزادَ عَدَدُ ٱلـجَماعَةِ ٱلصَّغيرَةِ ، وَجاءَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هَكْستَر ، وَٱنْضَمَّ إِلَيْهِمْ بَعْضُ ٱلشُّبّانِ . وَٱنْهالَ سَيْلٌ مِنْ أَسْئِلَةٍ لا جَوابَ لَها . وَحاوَلَ ٱلشّابُّ أَرْكي هارْكَر أَنْ يَخْتَلِسَ ٱلنَّظَرَ مِنْ تَحْتِ ٱلسَّتائِرِ ٱلـمُسْدَلَةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَـمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرى شَيْئًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدِ ٱنْضَمَّ إِلَيْهِ في ٱلحالِ جَـمْعٌ آخَرُ مِنْ شَبابِ أَيْبِنْغ .

وَفي تِلْكَ ٱلأَثْناءِ كانَ ٱلغَريبُ في ظَلامِ ٱلبَهْوِ يَشْعُرُ بِٱلجوعِ وَٱلـخَوْفِ . وَكانَ مُنْدَسًّا في ثِيابِهِ ٱلدّافِئَةِ غَيْرِ ٱلـمُريحَةِ ، وَراحَ يُحَـمْلِقُ إِلى أَوْراقِهِ مِنْ خِلالِ نَظّارَتِهِ ٱلقاتِـمَةِ ، أَوْ يَهُزُّ زُجاجاتِهِ ٱلقَذِرَةَ ، أَوْ يَلْعَنُ ٱلصِّبْيَةَ ٱلَّذينَ يَتَصايَحونَ خارِجَ ٱلنَّوافِذِ . وَكانَ في رُكْنِ ٱلغُرْفَةِ بِجانِبِ ٱلـمِدْفَأَةِ حُطامُ سِتِّ زُجاجاتٍ . وَمَلَأَتْ رائِحَةُ ٱلغازِ ٱلنَّفّاذَةُ ٱلهَواءَ .

وَفَجْأَةً ، عَقِبَ ٱلظُّهْرِ ، فَتَحَ ٱلغَريبُ بابَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَراحَ يُحَـمْلِقُ إِلى ٱلأَشْخاصِ ٱلثَّلاثَةِ أَوِ ٱلأَرْبَعَةِ ٱلـمَوْجودينَ . وَنادى قائِلًا : « يا سَيِّدَةُ هُول ! » فَأَسْرَعَ أَحَدُهُمْ وَٱسْتَدْعاها .

جاءَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول عَلى آلفَوْرِ لاهِثَةً قَليلاً وَغاضِبَةً لِلْغايَةِ . وَكانَ زَوْجُها لا يَزالُ غائِبًا عَنِ آلفُنْدُقِ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ قَدْ فَكَّرَتْ في آلأَمْرِ طَويلاً ، وَجاءَتْ مَعَها بِفاتورَةِ آلـحِسابِ آلَّتي لَـمْ يُسَدِّدْها آلغَريبُ .

سَأَلَـها : « لِـماذا لَـمْ يُقَدَّمْ لِـيَ طَعامُ آلإِفْطارِ ؟ ما آلَّذي جَعَلَكِ لا تُحْضِرينَ غَدائي ، أَوْ تَرُدّينَ عَلى آلـجَرَسِ ؟ أَ تَعْتَقِدينَ أَنَّني يُمْكِنُ أَنْ أَعيشَ بِلا طَعامٍ ؟ »

أَجابَتْهُ آلسَّيِّدَةُ هُول : « لِـمَ لَـمْ تَدْفَعْ لي حِسابي ؟ هٰذا ما أُريدُ أَنْ أَعْرِفَهُ . »

« أَ لَـمَ أَقُلْ لَكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ إِنَّني أَنْتَظِرُ وُصولَ بَعْضِ آلمالِ . . . ؟ »

« أَ لَـمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ إِنَّني لَنْ أَنْتَظِرَ ؟ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَشْكُوَ إِذا تَأَخَّرَ فَطورُكَ قَليلاً ، عَلى حينَ تَأَخَّرْتَ أَنْتَ في دَفْعِ آلـحِسابِ خَـمْسَةَ أَيّامٍ . »

كانَ جَوابُ آلغَريبِ أَنْ سَبَّ وَلَعَنَ .

قالَتِ آلسَّيِّدَةُ هُول : « إِنّي لَأَكونُ مُمْتَنَّةً لَكَ يا سَيِّدي إِذا آحْتَفَظْتَ

لِنَفْسِكَ بِسِبابِكَ وَلَعَناتِكَ . »

مَضى ٱلغَريبُ يَقولُ : « إِسْمَعي يا سَيِّدَتي ٱلطَّيِّبَةَ . . . »

بَيْدَ أَنَّها قاطَعَتْهُ قائِلَةً : « لا تَقُلْ لي يا سَيِّدَتي ٱلطَّيِّبَةَ . »

« لَقَدْ قُلْتُ لَكِ إِنَّ نُقودي لَـمْ تَصِلْ بَعْدُ . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « نُقودُكَ حَقًّا ! »

« إِنَّ ما في جَيْبي لا يَتَجاوَزُ . . . »

« إِنَّكَ أَخْبَرْتَني مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ سِوى جُنَيْهٍ . »

« هٰذا صَحيحٌ ، وَلٰكِنَّني وَجَدْتُ نُقودًا أُخرى . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول : « إِنّي لَأَتَساءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَها ؟ »

دَقَّ الأَرْضَ بِقَدَمِهِ غاضِبًا وَقالَ : « ماذا تَقْصِدينَ ؟ »

« أَقْصِدُ أَنَّني أَتَساءَلُ أَيْنَ وَجَدْتَها ؟ وَقَبْلَ أَنْ تُسَدِّدَ ٱلـحِسابَ ، وَقَبْلَ أَنْ أُعِدَّ لَكَ فَطورَكَ ، وَقَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَني بِأَمْرٍ أَوْ أَمْرَيْنِ ما زِلْتُ لا أَفْهَمُهُما ، وَما زال غَيْري أَيْضًا لا يَفْهَمُهُما ، وٱلـجَميعُ يَتَلَهَّفونَ عَلى أَنْ يَفْهَموا . أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ

خَرَجْتَ مِنْ غُرْفَتِكَ ، وَكَيْفَ عُدْتَ إلَيْها مَرَّةً أُخْرى ؟ إنَّ آلَّذينَ يُقيمونَ في هٰذا آلفُنْدُقِ يَدْخُلونَ وَيَخْرُجونَ مِنَ آلأَبْوابِ ـ تِلْكَ هِيَ آلقاعِدَةُ في هٰذا آلفُنْدُقِ ـ وَهٰذا ما لَـمْ تَفْعَلْهُ أَنْتَ . . . وَما أُريدُ أَنْ أَعْرِفَهُ هُوَ : كَيْفَ دَخَلْتَ ؟ أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ . . . »

فَجْأَةً رَفَعَ آلغَريبُ قَبْضَتَهُ آلـمَكْسُوَّةَ بِآلقُفّازِ وَدَقَّ آلأَرْضَ بِقَدَمِهِ قائِلًا : « كَفى ! »

أَطْلَقَها بِصَوْتٍ عالٍ جِدًّا مِـمّا أَسْكَتَها عَلى آلفَوْرِ .

« إنَّكِ لا تَعْرِفينَ مَنْ أَنا وَماذا أَعْمَلُ ، وَلٰكِنَّني سَأَكْشِفُ لَكِ كُلَّ شَيْءٍ، بِحَقِّ آلسَّماءِ سَأُبَيِّنُ لَكِ كُلَّ شَيْءٍ. »

عِنْدَئِذٍ وَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَبْعَدَها ، فَإذا وَجْهُهُ مُـجَرَّدُ تَجْويفٍ أَسْوَدَ ، وَقالَ : « هَيّا آنْظُري ! » ثُمَّ خَطا إلى آلأَمامِ ناحِيَتَها ، وَناوَلَها شَيْئًا فَأَخَذَتْهُ دونَ أَنْ تَعِيَ ما هُوَ ؛ إذْ كانَتْ تُحَـمْلِقُ إلى وَجْهِهِ ، وَلٰكِنْ عِنْدَما فَطِنَتْ إلى ماهِيَّةِ هٰذا آلشَّيْءِ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً ، وَأَلْقَتْهُ مِنْ يَدِها . . . كانَ هٰذا آلشَّيْءُ أَنْفًا ـ أَنْفَ آلغَريبِ ! أَنْفًا قانِيًا أَحْـمَرَ آللَّوْنِ ! وَتَدَحْرَجَ آلأَنْفُ عَلى آلأَرْضِ بِصَوْتٍ يُشْبِهُ صَوْتَ آلوَرَقِ آلـمُقَوّى آلأَجْوَفِ .



ثُمَّ رَفَعَ نَظّارَتَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَخَفَقَتْ قُلوبُ مَنْ في ٱلبَهْوِ ، وتَسارَعَتْ أَنْفاسُهُمْ ، ثُمَّ خَلَعَ قُبَّعَتَهُ ، وَنَزَعَ لِحْيَتَهُ ، وَكَذٰلِكَ ٱلضِّماداتِ ٱلَّتي تَحْجُبُ وَجْهَهُ .

كانَ ٱلمَشْهَدُ أَمامَهُمْ أَسْوَأَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَبْصارُهُمْ . وَجَرَتِ ٱلسَّيِّدَةُ هُول صَوْبَ بابِ ٱلفُنْدُقِ وَقَدْ فَغَرَتْ فاها مِنَ ٱلرُّعْبِ .

بَدَأَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ ٱلحاضِرينَ يَتَحَرَّكُ ، وَكانوا يَتَوَقَّعونَ أَنْ يَرَوْا نُدوبًا ، أَوْ جُروحًا ، أَوْ شَيْئًا دَمِيمًا مُقَزِّزًا ، وَلٰكِنْ كانَ كُلُّ ما رَأَوْهُ ـ لا شَيْءَ!

تَطايَرَتِ آلضِّماداتُ وَآلشَّعْرُ آلـمُسْتَعارُ عَبْرَ آلـمَمْشى إلى ناحِيَةِ آلرَّدْهَةِ ، وَتَساقَطَ آلحاضِرونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَذٰلِكَ آلَّذي كانَ يَقِفُ أَمامَهُمْ مُنْتَصِبًا ـ يَزْعَقُ وَيَصْرُخُ ـ كانَ رَجُلاً حَتّى مَنْكِبَيْهِ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ لا شَيْءَ!

تَناهَتِ آلصَّرَخاتُ إلى أَسْماعِ أَهْلِ آلقَرْيَةِ ، فَمَضَوْا يَسْتَطْلِعونَ آلأَمْرَ عَبْرَ آلطَّريقِ ، فَرَأَوْا آلقَوْمَ يَتَدافَعونَ مُنْطَلِقينَ مِنَ آلفُنْدُقِ ، وَشاهَدوا آلسَّيِّدَةَ هُول تَقَعُ عَلى آلأَرْضِ ، وَآلسَّيِّدَ تيدي هَنْفِري يَقْفِزُ حَتّى لا يَسْقُطَ فَوْقَها ، ثُمَّ سَمِعوا صُراخَ مِيلِـي آلـمُرْعِبَ وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ آلـمَطْبَخِ راكِضَةً عَلى صَوْتِ آلـجَلَبَةِ آلَّتي سَمِعَتْها ، حَتّى إذا رَأَتِ آلغَريبَ إنْسانًا بِلا رَأْسٍ ؛ سَكَتَتْ صَرَخاتُها فَجأَةً .

وَآحْتَشَدَ أَمامَ بابِ آلفُنْدُقِ كُلُّ مَنْ في آلقَرْيَةِ : الكِبارُ وَآلصِّغارُ ؛ وَكانوا حَوالى أَرْبَعينَ شَخْصًا .

« ماذا كانَ يَفْعَلُ ؟ »

« لَقَدْ هاجَمَهُمْ بِسِكّينٍ . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ آلفَتاةَ تَصْرُخُ . »

« أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ بِغَيْرِ رَأْسٍ . »

« هُراءٌ ! كلامٌ فارِغٌ ! »

« لَقَدْ أَزالَ ٱلضِّماداتِ . »

كانوا جَميعًا يَتَحَدَّثونَ في آنٍ واحِدٍ . وَفَجْأَةً ظَهَرَ ٱلسَّيِّدُ هُول قادِمًا ، وَكانَ وَجْهُهُ شَديدَ ٱلِاحْـمِرارِ ، تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ أَماراتُ ٱلعَزْمِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلسَّيِّدُ بوبي جِيفَرز شُرْطِيُّ ٱلقَرْيَةِ ، يَتْبَعُهُ ٱلسَّيِّدُ وِدْجَرْز ٱلوَقورُ .

اِرْتقى ٱلسَّيِّدُ هُول دَرَجَ ٱلفُنْدُقِ ، وَمَشى صَوْبَ بابِ ٱلرَّدْهَةِ ، فَوَجَدَهُ مَفْتوحًا ، قالَ : « قُمْ بِواجِبِكَ أَيُّها ٱلشُّرْطِيُّ . »

دَخَلَ جِيفَرز إلى ٱلرَّدْهَةِ ، وَتَبِعَهُ هُول ، وَمِنْ وَرائِهِما وِدْجَرْز . وَرَأَوْا أَمامَهُمُ ٱلشَّبَحَ ٱلَّذي بِغَيْرِ رَأْسٍ ، وَفي قَبْضَتِهِ ٱلـمَكْسُوَّةِ بِٱلقُفّازِ لُقْمَةٌ مِنَ ٱلـخُبْزِ ، وَفي ٱليَدِ ٱلأُخْرى قِطْعَةٌ مِنَ ٱلـجُبْنِ .

قالَ هُول : « ها هُوَ ذا ! »

انْبَعَثَ صَوْتٌ غاضِبٌ مِنْ فَوْقِ ياقَةِ ٱلشَّبَحِ يَقولُ : « تَبًّا لَكُمْ ! ما هٰذا ؟ »

قالَ ٱلشُّرْطِيُّ جِيفَرز : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، يَجِبُ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْكَ

بِرأسٍ كُنْتَ أَوْ بِغَيْرِ رَأْسٍ . »

صاحَ ٱلغَريبُ وَهُوَ يَقْفِزُ إلى ٱلوَراءِ : « اِبْتَعِدْ عَنّي ! »

وَخَلَعَ ٱلغَريبُ قُفّازَهُ ، وَلَطَمَ بِهِ وَجْهَ ٱلشُّرْطِيِّ ، وَفي ٱللَّحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ أَمْسَكَ جيفَرز بِرُسْغِهِ ٱلَّذي لا يَدَ لَهُ ، كَما قَبَضَ عَلى عُنُقِهِ ٱلخَفِيِّ ، وَتَلَقّى ٱلشُّرْطِيُّ رَكْلَةً عَنيفَةً جَعَلَتْهُ يَتَأَوَّهُ مُتَأَلِّمًا ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ مُتَشَبِّثًا بِغَريمِهِ ، وَٱصْطَدَما بِمَقْعَدٍ في طَريقِهِما فَسَقَطَ وَأَحْدَثَ صَوْتًا عالِيًا عِنْدَما هَوى ٱلإِثْنانِ عَلى ٱلأَرْضِ .

قالَ جيفَرز مِنْ بَيْنِ أَسْنانِهِ يُخاطِبُ ٱلرِّجالَ ٱلآخَرينَ : « أَمْسِكوا بِقَدَمَيْهِ . »

وَحاوَلَ هُول أَنْ يُلَبِّيَ هٰذا ٱلأَمْرَ ، بَيْدَ أَنَّهُ تَلَقّى رَكْلَةً في صَدْرِهِ كادَتْ أَنْ تُفْقِدَهُ ٱلوَعْيَ . وَحينَ رَأى ٱلسَّيِّدُ وِدْجَرْز ٱلغَريبَ ٱلَّذي بِلا رَأْسٍ يَتَدَحْرَجُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَيَجْثُمُ عَلى صَدْرِ جيفَرز ، ٱرْتَدَّ إلى ٱلخَلْفِ صَوْبَ ٱلبابِ ؛ فَٱصْطَدَمَ بِٱلسَّيِّدِ هَكْستَر وَبِرَجُلٍ آخَرَ كانَ قادِمًا لِمُساعَدَةِ ٱلشُّرْطِيِّ . وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ أَرْبَعُ زُجاجاتٍ وَتَهَشَّمَتْ ، وَفاحَتْ في ٱلغُرْفَةِ رائِحَةٌ قَوِيَّةٌ نَفّاذَةٌ .



وَرَغْمَ أَنَّ ٱلغَريبَ كانَ قَدْ طَرَحَ جيفرز عَلى ٱلأَرْضِ ، إلاّ أَنَّهُ قالَ : « إنّي أَسْتَسْلِمُ . »

وَفي ٱللَّحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ هَبَّ واقِفًا مَبْهورَ ٱلأَنْفاسِ ، وَتَراءى ٱلمَشْهَدُ عَجيبًا ، وَهُوَ بِغَيْرِ رَأْسٍ أَوْ يَدَيْنِ ، أَمّا صَوْتُهُ فَبَدا كَأَنَّهُ صادِرٌ مِنْ فَراغٍ . وَنَهَضَ جيفرز أَيْضًا واقِفًا .

وَمَرَّرَ ٱلغَريبُ ذِراعَهُ عَلى سُتْرَتِهِ ، وَٱنْفَكَّتْ أَزْرارُها ، ثُمَّ ٱنْحَنى عَلى

ٱلأَرْضِ ، وَبَدا كَأَنَّهُ يَلْـمِسُ حِذاءَهُ .

قالَ هَكْستَر فَجْأَةً : « يا إِلٰـهـي ! لَيْسَ هٰذا بِرَجُلٍ عَلى ٱلإِطْلاقِ ! إِنَّ ٱلـمَلابِسَ خاوِيَةٌ ! أُنْظُروا ! لَوْ أَنَّكُمْ نَظَرْتُمْ مِنْ خِلالِ ياقَتِهِ لَرَأَيْتُمُ ٱلأَرْضَ . إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أُدْخِلَ ذِراعي . . . »

وَبَسَطَ يَدَهُ أَمامَهُ ، وَبَدا أَنَّها ٱصْطَدَمَتْ بِشَيْءٍ في ٱلـهَواءِ ، فَما كانَ مِنْهُ إِلّا أَنْ سَحَبَها وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةً حادَّةً مِنَ ٱلدَّهْشَةِ .

وَصاحَ صَوْتٌ في نَبْرَةٍ غاضِبَةٍ : « أَرْجوكَ أَنْ تُبْعِدَ أَصابِعَكَ عَنْ عَيْنَيَّ . فَٱلواقِعُ أَنَّني كُلِّي مَوْجودٌ هُنا ، رَأْسي وَيَدَيَّ وَقَدَمَيَّ ، وَكُلُّ ما بَقِيَ مِنّـي ، وَلٰكِنْ حَدَثَ أَنْ أَصْبَحْتُ خَفِيًّا لا أُرى . وَلَيْسَ هٰذا مُبَرِّرًا لِكَيْ تَدُسَّ أَصابِعَكَ في عَيْنَيَّ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

كانَتِ ٱلسُّتْرَةُ وَقْتَها واقِفَةً مُنْتَصِبَةً وَهِيَ مَفْكوكَةُ ٱلأَزْرارِ .

وَجاءَ إِلى ٱلغُرْفَةِ عَدَدٌ آخَرُ مِنَ ٱلنّاسِ حَتّى أَصْبَحَتْ مُزْدَحِـمَةً .

صاحَ هَكْستَر ساخِرًا : « خَفِيٌّ ! أَ سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ كَهٰذا مِنْ قَبْلُ ؟ »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « لَعَلَّ ٱلأَمْرَ غَريبٌ مُذْهِلٌ ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ جَريمَةً ،

فَلِماذا يُهاجِمُني ٱلشُّرْطِيُّ بِهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ ؟ »

قالَ جِيفَرز : « لَيْسَ ٱلأَمْرُ كَما تَظُنُّ . إنَّني في ٱلـحَقيقَةِ لا أَراكَ ، وَلٰكِنْ لَدَيَّ أَمْرٌ بِٱعْتِقالِكَ ، لَيْسَ لأَنَّكَ لا تُرى ، وَإِنَّما لأَنَّ بَيْتًا سُرِقَ . »

« وَماذا إِذًا ؟ »

« يَبْدو أَنَّ . . . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ . « هُراءٌ ! كَلامٌ فارِغٌ ! »

« هٰذا ما أَرْجوهُ يا سَيِّدي . وَلٰكِنْ لَدَيَّ أَوامِري . »

وَفَجْأَةً جَلَسَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ كانَ قَدْ قَذَفَ إلى ٱلأَرْضِ بِجَميعِ ثِيابِهِ عَدا ٱلقَميصِ .

صاحَ جِيفَرز فَجْأَةً : « كُفَّ عَنْ هٰذا ! اِمْنَعوهُ ! إِنَّهُ إذا خَلَعَ قَميصَهُ . . . »

صاحَ كُلُّ مَنْ في ٱلغُرْفَةِ : « أَمْسِكوهُ . »

وَٱنْدَفَعوا جَميعًا ناحِيَةَ ٱلقَميصِ ٱلأَبْيَضِ ، وَكانَ هُوَ ٱلشَّيْءَ ٱلوَحيدَ ٱلَّذي أَمْكَنَ رُؤْيَتُهُ مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلغَريبِ .

وَلَطَمَ كُمُّ ٱلقَميصِ وَجْهَ هُول لَطْمَةً عَنيفَةً دَفَعَتْهُ إلى ٱلوَراءِ ،

فَٱصْطَدَمَ بِٱلعَجوزِ توثْسَم مُتَعَهِّدِ دَفْنِ ٱلـمَوْتى ، وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ كانَ ٱلقَميصُ قَدْ رُفِعَ إلى أَعْلى ، مِثْلَما يَفْعَلُ ٱلـمَرْءُ عِنْدَما يَهُمُّ بِخَلْعِ قَميصِهِ . وَهَجَـمَ جِيفَرز عَلى ٱلقَميصِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَـمْ يُفْلِـحْ إلّا في ٱلـمُساعَدَةِ عَلى إتْمامِ خَلْعِهِ . وَتَلَقّى جِيفَرز في فَكِّهِ لَكْمَةً جاءَتْهُ مِنَ ٱلـهَواءِ ، فَسَحَبَ هِراوَتَهُ وَضَرَبَ بِها ، فَأَصابَ أُمَّ رَأْسِ هَنْفِري . وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَصيحُ : « اِنْتَبِهْ ! » وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَضْرِبُ لا شَيْءَ. وَتَعالَتْ أَصْواتُ ٱلـجَميعِ : « أَمْسِكوهُ ! أَقْفِلوا ٱلبابَ ! إيّاكُمْ أَنْ يَهْرُبَ ! لَقَدْ أَمْسَكْتُ شَيْئًا ! ها هُوَ ذا ! » وَكانوا يَضْرِبونَ في وَقْتٍ واحِدٍ ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقَعُ فَوْقَ ٱلآخَرِ . وَفَتَحَ ساندي وِدْجِرز ٱلبابَ فَسَقَطوا كُلُّهُمْ خارِجَهُ . وَٱسْتَمَرَّتِ ٱلضَّرَباتُ ، وَكُسِرَتْ سِنُّ أَحَدِهِمْ ، وَتَوَرَّمَتْ أُذُنُ آخَرَ . وَأَصابَتْ فَكَّ جِيفَرز لَكْمَةٌ شَديدَةٌ ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَتَحَسَّسَ ٱلـهَواءَ ، وَلَـمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا جامِدًا يَقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَكْستَر ، وَفي تِلْكَ ٱللَّـحْظَةِ كانَ ٱلـمُتَصارِعونَ ٱلـمُهْتاجونَ قَدْ خَرَجوا إلى ٱلرَّدْهَةِ .

وَٱنْتَقَلَتِ ٱلـمَعْرَكَةُ سَريعًا إلى بابِ ٱلفُنْدُقِ . وَتَعالَتْ صَيْحاتٌ مُهْتاجَةٌ : « أَمْسِكوهُ ! رَجُلٌ خَفِيٌّ ! » وَٱنْدَفَعَ شابٌّ غَريبٌ عَنِ ٱلـمِنْطَقَةِ ، وَهَجَـمَ كَغَيْرِهِ مُشارِكًا في ٱلـمَعْرَكَةِ ، وَلَـمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا

وَأَمْسَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَفْلَتَتْ أَصابِعُهُ ما تَشَبَّثَ بِهِ ، ثُمَّ إذا بِهِ طَريحٌ فَوْقَ جِسْمِ رَجُلٍ آخَرَ ، وَعَلى بُعْدِ مَسافَةٍ قَصيرَةٍ عَبْرَ ٱلشّارِعِ صَرَخَتِ ٱمْرَأَةٌ ؛ إذِ ٱحْتَكَّ شَيْءٌ بِها وَلٰكِن دونَ أَنْ تَراهُ . وَجَرى أَحَدُ ٱلكِلابِ وَهُوَ يَعْوي بِشِدَّةٍ وَدَخَلَ إلى فِناءِ هَكْستَر . وَهٰكَذا ذَهَبَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ .

وَمَرَّتْ بُرْهَةٌ وَٱلقَوْمُ لا يَعْرِفونَ ماذا يَفْعَلونَ ، ثُمَّ راحوا يَجْرونَ مُشَتَّتينَ مِثْلَ أَوْراقِ ٱلشَّجَرِ عِنْدَما تُشَتِّتُها ٱلرِّياحُ ، عَلى حينَ ظَلَّ جِيفرز طَريحًا بِلا حَراكٍ عَلى دَرَجِ ٱلسُّلَّمِ .

الفَصْلُ آلثّامِنُ

في آلطَّريقِ

خَـلَعَ آلسَّيِّدُ توماس مارْفِل ـ وَهُوَ أَفاقَ ـ حِذاءَهُ وَجَلَسَ إلى جانِبِ آلطَّريقِ يُبَرِّدُ قَدَمَيْهِ ، وَيَنْظُرُ إلى أصابِعِهِما بِحَسْرَةٍ .

وَكانَ حِذاؤُهُ خَيْرَ ما لَبِسَ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ ، وَمَعَ ذٰلِكَ كانَ يَكْرَهُهُ لِقُبْحِ شَكْلِهِ وَعَدَمِ مُلاءَمَةِ حَجْمِهِ لِقَدَمَيْهِ . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَقْبَحُ حِذاءٍ في آلدُّنْيا بِأَسْرِها . »

وَسَمِعَ صَوْتًا يَقولُ : « إِنَّهُ حِذاءٌ عَلى أَيَّةِ حالٍ . »

قالَ مارْفِل مُوافِقًا : « نَعَمْ ، وَقَدْ جادَ عَلَيَّ بِهِ آلبَعْضُ ، غَيْرَ أَنَّ حَجْمَهُ أَكْبَرُ مِمّا يَنْبَغي ، وَقَدْ سَئِمْتُهُ . وَهٰذا ما جَعَلَني أَسْتَجْدي آلنّاسَ أَحْذِيَةً أَحْذِيَةً أَحْذِيَةً . . في كُلِّ مَكانٍ أَرْتادُهُ . وَلٰكِنّي لَمْ أَجِدْ حِذاءً عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ آلنّاسِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ . »

قالَ آلصَّوْتُ : « هٰذا غَريبٌ ! »

« مُنْذُ عَشْـرِ سَنَواتٍ وَأَنا أَسْتَجْدي الأَحْذِيَةَ في هٰذِهِ آلـمِنْطَقَةِ ، وَقَدْ حَصَلْتُ عَلى جَـميعِ أَحْذِيَتي مِنْ هُنا . وَآلآنَ آنْظُرْ إِلى هٰذا آلـحِذاءِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ ما قَدَّموهُ لي . »

وَأَدارَ رَأْسَهُ لِيَرى حِذاءَ آلرَّجُـلِ آلَّذي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّهُ لَـمْ يَجِدْ شَيْئًا . لَـمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حِذاءٌ ، وَلا ساقانِ ، وَلا شَيْءٌ.

تَساءَلَ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَلَـمْ يَكُنْ يَرى سِوى آلطَّريقِ ، وَآلـخَلاءِ ، وَلَـمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٌ لإِنْسانٍ سِوى نَفْسِهِ .

قالَ : « أَ تُراني جُنِنْتُ ؟ لا رَيْبَ أَنَّني أَتَخَيَّلُ شَيْئًا . » .

أَجابَهُ آلصَّوْتُ : « كَلّا ، إِنَّكَ لَسْتَ مَـجْنونًا ، وَلا تَتَخَيَّلُ شَيْئًا . . لا تَخَفْ . »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْفِل : « أَخافُ . . أَخافُ . . . تَعالَ هُنا . . أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « لا تَخَفْ . »

« بَلْ سَتَخافُ أَنْتَ حالاً . دَعْني أُمْسِكْكَ . أَ مُخْتَبِئٌ أَنْتَ في حُفْرَةٍ

تَحْتَ ٱلأَرْضِ ؟ »

وَلَـمْ يَسْمَعْ جَوابًا .

وَشَرَعَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل يَرْتَدي مِعْطَفَهُ .

قالَ : « أَسْتَطيعُ أَنْ أُقْسِمَ بِأَنَّني سَمِعْتُ صَوْتًا . »

« إِنَّكَ فِعْلاً سَمِعْتَ صَوْتًا . »

قالَ مارْڤِل وَهُوَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَيَمْسَحُ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ : « ها هُوَ ذا مَرَّةً أُخرى . لا شَكَّ أَنَّني جُنِنْتُ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « لا تَكُنْ أَحْـمَقَ . »

« إِنَّني . . . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « دَقيقَةً واحِدَةً . . إِنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّني مُـجَردُ خَيالٍ . . . خَيالٍ فَحَسْبُ . أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل وَهُوَ يَحُكُّ قَفاهُ : « وَأَيُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ غَيْرَ ذٰلِكَ ؟ »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « حَسَنٌ جِدًّا ، سَأَرْميكَ بِٱلـحِـجارَةِ حَتّى تُغَيِّرَ

رَأيكَ . »

« وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« وَلَـمْ يُـحِرِ ٱلصَّوْتُ جَوابًا . »

وَمَرَقَ حَـجَرٌ وَهُوَ يَصْفِرُ في ٱلْـهَواءِ ، وَكادَ يُصيبُ كَتِفَ ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل . وَٱلْتَفَتَ وَراءَهُ فَرَأى حَـجَرًا يَقْفِزُ إلى أَعْلى في ٱلْـهَواءِ ، وَيَتَوَقَّفُ بُرْهَةً مُعَلَّقًا ، ثُمَّ يَقَعُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَ أَصابَ حَـجَرٌ آخَرُ أَصابِعَ قَدَمِهِ ٱلعارِيَةِ ، فَأَطْلَقَ مارْڤِل صَرْخَةً عالِيَةً ، ثُمَّ أَخَذَ يَجْري ، وَسَقَطَ فَوْقَ شَيْءٍ لَـمْ يَرَهُ ، ثُمَّ جَـلَسَ إلى جانِبِ ٱلطَّريقِ لِيَسْتَريحَ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « وَٱلآنَ ، أَلا تَزالُ تَراني خَيالاً ؟ »

وَتَحامَـلَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل عَلى نَفْسِهِ ، وَحاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ واقِفًا ، بَيْدَ أَنَّهُ أُلْقِيَ عَلى ٱلأَرْضِ في ٱلْـحالِ ، وَتَدَحْرَجَ عَلى ٱلأَرْضِ مَرَّةً أُخْرى . وَلَبِثَ مَكانَهُ ساكِنًا بُرْهَةً قَصيرَةً .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « إذا قاوَمْتَ بَعْدَ ٱلآنَ ، قَذَفْتُ رَأْسَكَ بِهٰذا ٱلْـحَجرِ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل وَهُوَ يَجْلِسُ مُـمْسِكًا بِأُصْبُعِهِ ٱلْـمَـجْروحِ : « لَقَدْ

قُضِيَ عَلَيَّ . . . إنِّي لا أَفْهَمُ شَيْئًا . . حِجارَةٌ تَقْذِفُ بِنَفْسِها . . . حِجارَةٌ تَتَكَلَّمُ . . . لَقَدْ قُضِيَ عَلَيَّ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « الأَمْرُ واضِحٌ جِدًّا . إنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل وَهُوَ يَتَأَوَّهُ أَلَـمًا : « قُلْ لي شَيْئًا لا أَعْرِفُهُ . أَيْنَ تَخْتَبِئُ ؟ كَيْفَ يَتَسَنّى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هٰذا ؟ الحَقُّ أَنّي لا أَعْرِفُ . لَقَدْ هُزِمْتُ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « إنّي خَفِيٌّ لا أُرى . هٰذا هُوَ ما أُريدُكَ أَنْ تَفْهَمَهُ . »

« بِمَقْدورِ أَيِّ ٱمْرِئٍ أَنْ يَرى هٰذا ، فَلا داعِيَ لأَنْ يَثورَ غَضَبُكَ . وَٱلآنَ أَنْبِئْني بِما أَجْهَلُ . أَيْنَ تَخْتَبِئُ ؟ »

« قُلْتُ لَكَ إنَّني رَجُلٌ خَفِيٌّ ، وَتِلْكَ هِيَ ٱلمَسْأَلَةُ ، وَٱلَّذي أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَفْهَمَهُ هُوَ أَنَّ . . . »

وَقاطَعَهُ مارْفِل قائِلاً : « وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« إنَّني هُنا عَلى بُعْدِ خَمْسَةِ أَمْتارٍ تَقْريبًا مِنْكَ . »

« مُسْتَحيلٌ ! إنَّني لَسْتُ أَعْمى . وَقَدْ تَقولُ لي بَعْدَ ذٰلِكَ إنَّكَ لَسْتَ سِوى هَواءٍ رَقيقٍ . »

« نَعَمْ أنا . . هَواءٌ رَقيقٌ . وَ أَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ خِلالي . »

« ماذا تَقولُ ؟! أَ لَيْسَ لَكَ جِسْمٌ مَـلْموسٌ ؟ »

« إنَّني مُـجَرَّدُ إنْسانٍ : جِسْمٍ صُلْبٍ ، يَحْتاجُ طَعامًا وَشَرابًا ، وَيَحْتاجُ آلـمَلابِسَ



أَيْضًا . . . وَلٰكِنَّني خَفِيٌّ غَيْرُ مَرْئِيٍّ . . . أَ تُراكَ فَهِمْتَ ما أَعْني ؟ جِسْمٌ خَفِيٌّ . . . خَفِيٌّ . . . . هٰذا هُوَ كُلُّ ما هُنالِكَ . »

« هَلْ أَنْتَ إِنْسانٌ حَقيقِيٌّ . »

« نَعَمْ ، إِنْسانٌ حَقيقِيٌّ . . »

قالَ مارْڤِل : « إِذًا دَعْني أَلْـمِسْ يَدَكَ . إِذا كُنْتَ حَقيقِيًّا فَلَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ غَريبًا . »

وَتَحَسَّسَ بِأَصابِعِهِ ٱليَدَ ٱلتي أَطْبَقَتْ عَلى رُسْغِهِ ، ثُمَّ تَحَسَّسَ ٱلذِّراعَ حَتّى ٱسْتَقَرَّتْ أَصابِعُهُ عَلى ٱلصَّدْرِ ، ثُمَّ لَـمَسَتِ ٱلوَجْهَ ٱلـمُـلْتَحِيَ . وَبَدَتْ عَلاماتُ ٱلدَّهْشَةِ ٱلشَّديدَةِ عَلى وَجْهِ مارْڤِل .

قالَ ٱلرَّجُـلُ ٱلخَفِيُّ : « وَمَعَ ذٰلِكَ ، فَلَيْسَ هٰذا بِٱلأَمْرِ ٱلشَّديدِ ٱلغَرابَةِ كَما تَظُنُّ . »

رَدَّ ٱلسَّيِّدُ توماس مارْڤِل قائِلًا : « إِنَّهُ عَلى أَيَّةِ حالٍ شَديدُ ٱلغَرابَةِ بِٱلنِّسْبَةِ لي . وَلٰكِنْ كَيْفَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ هٰذا ؟ كَيْفَ تَفْعَلُهُ ؟ »

« هٰذِهِ حِكايَةٌ طَويلَةٌ لِـلْغايَةِ ، وَفَضْلًا عَنْ هٰذا فَإِنَّ . . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل مُقاطِعًا : « أَقولُ لَكَ إِنَّ ٱلأَمْرَ عَجيبٌ جِدًّا . إِنّي

لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْهَمَهُ . »

« إِنَّ ٱلَّذي أُريدُ أَنْ أَقولَهُ ٱلآنَ هُوَ إِنَّني في حاجَةٍ إِلى ٱلـمُساعَدَةِ . نَعَمْ ، أُريدُ ٱلـمُساعَدَةَ في ٱلحالِ . لَقَدِ ٱلْتَقَيْتُ بِكَ فَجْأَةً وَأَنا أَتَجَوَّلُ عارِيَ ٱلبَدَنِ مُـجَرَّدًا مِنَ ٱلثِّيابِ . . . لا مُعينَ لي ، ثُمَّ رَأَيْتُكَ . . . »

صاحَ مارْڤِل : « يا إِلَـهي ! »

« كُنْتُ أَسيرُ وَراءَكَ ، وَتَوَقَّفْتُ ، ثُمَّ عاوَدْتُ سَيْري ، وَتَوَقَّفْتُ مَرَّةً أُخرى ، وَقُلْتُ في نَفْسي : هٰذا هُوَ ٱلرَّجُـلُ ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يُعاوِنَني ، وَٱسْتَدَرْتُ راجِعًا إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ أَنْتَ ، ثُمَّ . . . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل : « يا إِلَـهي ! هَلْ لي أَنْ أَسْأَلَكَ عَمّا تَشْعُرُ بِهِ وَأَنْتَ عَلى هٰذِهِ ٱلحالِ ؟ وَأَيُّ عَوْنٍ تَحْتاجُهُ أَيُّها ٱلـخَفِيُّ ؟ »

أُريدُ مِنْكَ أَنْ تُساعِدَني في ٱلـحُصولِ عَلى ثِيابٍ وَمَأْوًى ، ثُمَّ بَعْضِ ٱلأَشْياءِ ٱلأُخْرى . لَقَدْ تَرَكْتُ هٰذِهِ ٱلأَشْياءَ أَطْوَلَ مِـمّا يَنْبَغي . . أَمّا إِذا كُنْتَ لا تُريدُ أَنْ تُساعِدَني . . . وَلٰكِنَّكَ سَتُساعِدُني . . . لا بُدَّ لَكَ أَنْ تُساعِدَني . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِلِ : « اِسْمَعْ ، لا تَطْرَحْني أَرْضًا بَعْدَ ٱلآنَ ، وَدَعْني

أَنْصَرِفْ . . . يَجِبُ أَنْ أَسْتَعيدَ هُدوءَ أَعْصابي . . إِنَّكَ كِدْتَ أَنْ تَكْسِرَ أُصْبُعَ قَدَمي ، وَٱلأَمْرُ كُلُّهُ عَجيبٌ لا يُصَدِّقُهُ ٱلعَقْلُ : أَرْضٌ خَلاءٌ ، وَسَماءٌ خالِيَةٌ ، وَلا شَيْءَ يُرى عَلى مَسافَةِ كيلومِتْراتٍ إِلّا ٱلطَّبيعَةَ . وَفَجْأَةً يَنْبَعِثُ صَوْتٌ آتٍ مِنَ ٱلسَّماءِ ! ثُمَّ حِجارَةٌ وَقَبْضَةُ يَدٍ ! يا إِلٰهي ! »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « تَماسَكْ يا رَجُلُ ؛ إِذْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقومَ بِما أُريدُهُ مِنْكَ . »

فَغَرَ مارْڤِل فَمَهُ ، وَٱتَّسَعَتْ عَيْناهُ .

عادَ ٱلصَّوْتُ يَقولُ : « لَقَدْ وَقَعَ ٱخْتِياري عَلَيْكَ . إِنَّكَ ٱلإِنْسانُ ٱلوَحيدُ ـ بِٱسْتِثْناءِ بَعْضِ ٱلحَمْقى مِنْ أَهْلِ ٱلقَرْيَةِ ـ ٱلَّذي يَعْرِفُ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا ٱسْمُهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ . يَجِبُ أَنْ تَكونَ مُعينًا لي . أَرْجوكَ ساعِدْني ، وَسَوْفَ أُجازيكَ خَيْرَ ٱلجَزاءِ . إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ذو بَأْسٍ وَسُلْطانٍ . » وَأَمْسَكَ عَنِ ٱلكَلامِ بُرْهَةً لِيَعْطِسَ عَطْسَةً عالِيَةً .

ثُمَّ قالَ : « لٰكِنْ إِذا خَدَعْتَني ، وَإِذا لَمْ تَفْعَلْ ما أَقولُهُ لَكَ . . . »

مَرَّةً أُخْرى كَفَّ عَنْ مُتابَعَةِ ٱلحَديثِ ، وَرَبَّتَ عَلى كَتِفِ ٱلسَّيِّدِ مارْڤِل بِشِدَّةٍ ؛ فَأَطْلَقَ مارْڤِل صَيْحَةَ فَزَعٍ حينَما شَعَرَ بِلَمْسَةِ يَدِهِ ، وَقالَ

وَهُوَ يَبْتَعِدُ : « إِنّي لا أُريدُ أَنْ أَخْدَعَكَ . وَلا يَخْطِرَنَّ ذٰلِكَ بِبالِكَ ، مَهْما فَعَلْتَ . . كُلُّ ما أَبْغيهِ هُوَ أَنْ أُساعِدَكَ . قُلْ لي فَقَطْ ما تُريدُني أَنْ أَفْعَلَهُ ، وَ مَهْما يَكُنْ ذٰلِكَ ٱلَّذي تُريدُهُ مِنّي فَسَوْفَ أَفْعَلُهُ راضِيًا . »

وَفي حَوالى ٱلسّاعَةِ ٱلرّابِعَةِ دَخَلَ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل ٱلقَرْيَةَ مِنْ ناحِيَةِ ٱلتِّلالِ . وَكانَ قَصيرَ ٱلقامَةِ بَدينًا ، عَلى رَأْسِهِ قُبَّعَةٌ قَديمَةٌ قَذِرَةٌ ، وَبَدا مَكْدودًا مُتْعَبًا لاهِثَ ٱلأَنْفاسِ . وَكانَتْ عَلاماتُ ٱلخَوْفِ ظاهِرَةً عَلى وَجْهِهِ ، وَبَدا كَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ . وَتَذَكَّرَ بَعْضُ رِجالِ ٱلقَرْيَةِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَشاهَدَهُ ٱلسَّيِّدُ هَكْستَر يَرْتَقي دَرَجاتِ ٱلفُنْدُقِ وَيَتَّجِهُ إِلى ٱلرَّدْهَةِ . وَسَمِعَ هَكْستَر أَصْواتًا مِنْ داخِلِ ٱلرَّدْهَةِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَلّا يَدْخُلَها .

قالَ هُول : « هٰذِهِ غُرْفَةٌ خاصَّةٌ فَلا تَدْخُلْها . »

وَأَغْلَقَ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل بابَ ٱلرَّدْهَةِ ، وَٱرْتَدَّ مُتَّجِهًا إِلى قاعَةِ ٱلجُلوسِ ، ثُمَّ ما لَبِثَ أَنْ غادَرَ ٱلمَكانَ مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَمْسَحُ فَمَهُ كَأَنَّهُ قَدْ شَرِبَ شَيْئًا .

الفَصْلُ التّاسِعُ

في فُنْدُقِ "العَرَبَة وَ آلـجِياد"

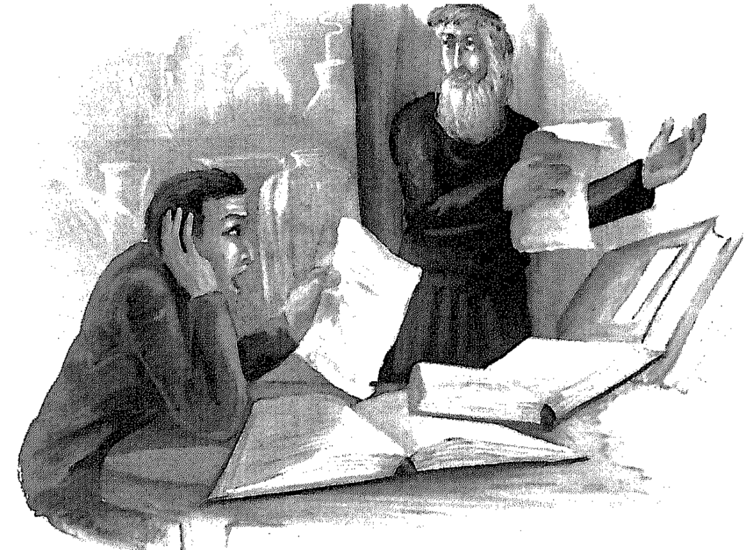
كانَ آلسَّيِّدانِ كاس وَبِنْتِنْغ في رَدْهَةِ آلفُنْدُقِ يُفَتِّشانِ مَتاعَ آلغَريبِ ، أَمَلًا في أَنْ يَجِدا شَيْئًا يُفَسِّرُ لَـهُما أَحْداثَ ذٰلِكَ آلصَّباحِ . وَكانَ جيفرز قَدْ أَفاقَ مِنْ سَقْطَتِهِ ، وَعادَ إلى بَيْتِهِ . أَمّا آلسَّيِّدَةُ هُول فَقَدْ رَتَّبَتْ مَلابِسَ آلغَريبِ ، وَنَحَّتْها جانِبًا . وَعَثَرَ آلسَّيِّدُ كاس عَلى ثَلاثَةِ كُتُبٍ ضَخْمَةٍ تَحْتَ آلنّافِذَةِ حَيْثُ كانَ آلغَريبُ يَعْمَلُ .

قالَ كاس لِبِنْتِنْغ : « الآنَ سَنَهْتَدي إلى شَيْءٍ . »

وَلٰكِنْ ما إنْ فَتَحا آلكُتُبَ حَتّى أَلْفَيا نَفْسَيْهِما عاجِزَيْنِ عَنْ قِراءَةِ شَيْءٍ . وَراحَ كاس يُقَلِّبُ آلصَّفَحاتِ ، ثُمَّ قالَ : « هٰذا غَريبٌ ! إنّي لا أَفْهَمُ شَيْئًا ! »

سَأَلَهُ آلسَّيِّدُ بِنْتِنْغ : « أَلَمْ تَجِدْ صُوَرًا ؟ لا شَيْءَ يُبَيِّنُ ؟ »

أَجابَهُ آلسَّيِّدُ كاس : « هاكَ آلكُتُبَ . اِفْحَصْها بِنَفْسِكَ . إنَّها



مَكْتوبَةٌ بِٱليونانِيَّةِ ، أَوْ لَعَلَّها ٱلرّوسِيَّةُ أَوْ أَيَّةُ لُغَةٍ أُخرى . »

فُتِحَ ٱلبابُ فَجْأَةً ، وَٱسْتَدارَ ٱلرَّجُلانِ يَتَطَلَّعانِ ، فَإِذا ٱلقادِمُ هُوَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل ، وَلَبِثَ بُرْهَةً مُـمْسِكًا بِٱلبابِ وَهُوَ مَفْتوحٌ ، ثُمَّ قالَ : « مَعْذِرَةً ! » .

قالَ ٱلسَّيِّدُ كاس : « أَرْجوكَ أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ . »
وَعِنْدَئِذٍ ٱنْصَرَفَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل .

قالَ كاس : « إِنَّ أَعْصابي . . . إِنَّ أَعْصابِـيَ ٱليَوْمَ مُضْطَرِبَةٌ ؛ فَقَدْ أَجْفَلْتُ فَزَعًا عِنْدَما فُتِحَ ٱلبابُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ . »

اِبْتَسَمَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ وَقالَ : « فَلْنُعاوِدِ ٱلآنَ ٱلنَّظَرَ في ٱلكُتُبِ ؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَكٌّ في أَنَّ أَشْياءَ غَريبَةً حَدَثَتْ في ٱلقَرْيَةِ ، وَلٰكِنّي مَعَ هٰذا لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا ٱسْمُهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ . نَعَمْ ، لا أَسْتَطيعُ . . . »

« لا ، وَ مَعَ ذٰلِكَ أُؤَكِّدُ لَكَ أَنّي ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى مِنْ خِلالِ كُمِّ قَميصِهِ . »

سَأَلَهُ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « أَ واثِقٌ أَنْتَ بِذٰلِكَ ؟ أَ واثِقٌ تَمامًا ؟ »

« واثِقٌ كُلَّ ٱلوُثوقِ ؛ وَقَدْ قُلْتُ ذٰلِكَ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ أَدْنى شَكٍّ فيهِ . وَلْنَعُدِ ٱلآنَ إِلى ٱلكُتُبِ . »

ثُمَّ مَضَيا يُقَلِّبانِ ٱلصَّفَحاتِ ، وَلٰكِنَّهُما عَجَزا عَنْ قِراءَةِ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ مِنْ لُغَتِها ٱلغَريبَةِ . وَفَجْأَةً أَحَسَّ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ بِشَيْءٍ يُمْسِكُ بِقَفاهُ ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ .

« إِيّاكُما أَنْ تَتَحَرَّكا أَيُّها ٱلتّافِهانِ وَإِلّا حَطَّمْتُ رَأْسَيْكُما . »

وَتَطَلَّعَ ٱلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ إِلى كاس ٱلَّذي كانَ وَجْهُهُ شاحِبًا مِنْ شِدَّةِ ٱلهَلَعِ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « يُؤْسِفُني أَنْ أَكونَ خَشِنًا عَنيفًا ، وَلٰكِنْ مَتى تَعَلَّمْتُما

آلعَبَث بِمُقْتَنَياتِ غَيْرِكُما ؟ »

وَآصْطَدَمَ أَنْفانِ بِآلمائِدَةِ ، وَواصَلَ آلصَّوْتُ حَديثَهُ قائِلًا : « كَيْفَ تَدْخُلانِ حُجْرَةَ غَريبٍ دونَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْكُما ذٰلِكَ ؟ أَنْصِتا إِلَيَّ ! إِنَّني رَجُلٌ قَوِيُّ آلبِنْيَةِ ، وَ في وُسْعي أَنْ أَقْتُلَكُما كِلَيْكُما إِذا شِئْتُ وَأَفِرَّ هارِبًا دونَ أَنْ يَرانِيَ أَحَدٌ . وَلٰكِنْ إِذا أَطْلَقْتُ سَراحَكُما فَعِداني أَنْ تَفْعَلا ما أُريدُهُ . »

قالَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ : « نَعِدُكَ بِذٰلِكَ . »

وَتَخَلَّتِ آليَدانِ عَنْ عُنُقَيِ آلرَّجُلَيْنِ ؛ فَآعْتَدَلا واقِفَيْنِ ، وَ قَدْ تَضَرَّجَ وَجْهاهُما آحْمِرارًا .

قالَ آلصَّوْتُ : « إِيّاكُما أَنْ تَتَحَرَّكا . ها هُوَ ذا قَضيبُ تَقْليبِ آلنّارِ في يَدي ؛ أَ تَرَيانِهِ ؟ »

وَرَأَيا آلقَضيبَ يَتَأَرْجَحُ في آلهَواءِ ، وَ يَلْمِسُ أَنْفَ آلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ .

« وَآلآنَ أَيْنَ مَلابِسي ؟ حَقيقَةً آلجَوُّ دافِئٌ هٰذِهِ آلأَيّامَ حَتّى لَيَسْتَطيعَ آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ أَنْ يَتَجَوَّلَ مُجَرَّدًا مِنَ آلثِّيابِ ، وَلٰكِنَّ آلمَساءَ بارِدٌ . لِذٰلِكَ فَإِنَّني في حاجَةٍ إِلى بَعْضِ آلمَلابِسِ ، وَإِلى هٰذِهِ آلكُتُبِ آلثَّلاثَةِ أَيْضًا . »

الفَصْلُ ٱلعاشِرُ

الرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَتَمَلَّكُهُ ٱلغَضَبُ

بَيْنَما كانَتْ هٰذِهِ ٱلأُمورُ تَحْدُثُ في ٱلرَّدْهَةِ ، وَ عَلى حينَ وَقَفَ ٱلسَّيِّدُ هَكْستَر يَرْقُبُ ٱلسَّيِّدَ مارْفِل وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلى بَوّابَةِ ٱلفُنْدُقِ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، كانَ ٱلسَّيِّدُ هُول عَلى قِيدِ خُطُواتٍ يَتَبادَلُ ٱلـحَديثَ مَعَ ٱلسَّيِّدِ تيدِي هَنْفرِي .

وَفَجْأَةً دَوَّتْ خَبْطَةٌ عالِيَةٌ فَوْقَ بابِ ٱلرَّدْهَةِ ، أَعْقَبَتْها صَرْخَةٌ ، ثُمَّ سادَ ٱلسُّكونُ .

صاحَ تيدِي هَنْفرِي : « ما هٰذا ؟ »

وَرَدَّدَ صَوْتٌ مِنَ ٱلدّاخِلِ : « ما هٰذا ؟ »

وَنَظَرَ ٱلسَّيِّدُ هُول وَتيدِي إلى ٱلبابِ .

قالَ هُول : « حَدَثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ . »

وَأَرْهَفَ ٱلرَّجُلانِ ٱلسَّمْعَ فَتْرَةً طَويلَةً ، وَمِنْ وَراءِ ٱلبابِ ٱلموصَدِ سَمِعا أَصْواتًا غَريبَةً ، كَأَنَّ شَيْئًا يَسْقُطُ أَرْضًا ، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حادَّةٌ .

وَٱرْتَفَعَ صَوْتٌ يَقولُ : « لا . . . لا . . . لا تَفْعَلْ هٰذا . » ثُمَّ سادَ ٱلصَّمْتُ .

وَفي صَوْتٍ خافِتٍ هَمَسَ هَنفِري مُتَعَجِّبًا : « ما هٰذا ؟ ! »

وَتَساءَلَ هُول : « أَ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ؟ »

وَجاءَ صَوْتُ ٱلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ مُجيبًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ! عَلى ما يُرامُ ! لا تَدْخُلْ . »

وَوَقَفا يُنْصِتانِ .

وَسَمِعا ٱلسَّيِّدَ بَنْتِنْغ يَقولُ : « لا أَسْتَطيعُ . أَقولُ لَكَ يا سَيِّدي إِنّي لَنْ أَفْعَلَ هٰذا . »

وَسَأَلَ هَنفِري : « مَنِ ٱلَّذي يَتَكَلَّمُ ٱلآنَ ؟ »

أَجابَهُ هُول : « السَّيِّدُ كاس فيما أَعْتَقِدُ . هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا آخَرَ ؟ »

ثُمَّ سادَ ٱلسُّكونُ .

قالَ هُول : « يَبْدو أَنَّ أَحَدًا أَلْقى بِٱلمائِدَةِ عَلى ٱلأَرْضِ . »

وَظَهَرَتْ زَوْجَةُ هُول ، وَحينَ أَنْبَأُوها بِما حَدَثَ أَبَتْ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّ شَيْئًا غَريبًا كانَ يَحْدُثُ ، وَ قالَتْ : « لَعَلَّهُمْ يُزيحونَ ٱلمَقاعِدَ وَٱلمِنْضَدَةَ . »

تَساءَلَ ٱلسَّيِّدُ هَنْفِري : « أَلَمْ أَسْمَعْ صَريرَ ٱلنّافِذَةِ ؟ »

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَةُ هُول : «أَيَّةُ نافِذَةٍ ؟ »

وَأَجابَها هَنْفِري : « نافِذَةُ ٱلرَّدْهَةِ . »

وَوَقَفَ ٱلجَميعُ يُنْصِتونَ ، وَ كانَتْ زَوْجَةُ هُول تَنْظُرُ أَمامَها مُباشَرَةً فَوَقَعَتْ عَيْناها عَلى بابِ ٱلفُنْدُقِ ٱللّامِعِ ، وَ ٱلطَّريقِ ٱلخالي ٱلنَّظيفِ ، وَواجِهَةِ مَتْجَرِ هَكْستَر وَهِيَ تَتَأَلَّقُ في ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَرَ شَيْئًا مِنْ هٰذا . وَ فَجْأَةً ٱنْفَتَحَ بابُ ٱلمَتْجَرِ ، وَظَهَرَ هَكْستَر نَفْسُهُ يُحَدِّقُ بِعَيْنَيْهِ مِنْ فَرْطِ ٱلانْفِعالِ ، وَيُلَوِّحُ بِذِراعَيْهِ .

صاحَ هَكْستَر : « قِفْ أَيُّها ٱللِّصُّ ! » وَجَرى صَوْبَ أَبْوابِ ٱلفِناءِ ، ثُمَّ تَوارى عَنِ ٱلأَنْظارِ .

وَفي ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ صَدَرَتْ مِنَ ٱلرَّدْهَةِ جَلَبَةٌ ، وَ سُمِعَ صَريرُ نافِذَةٍ تُغْلَقُ .

وَٱنْدَفَعَ عَلى ٱلفَوْرِ إلى ٱلشّارِعِ هُول وَهَنْفري وَسائِرُ ٱلـمَوْجودينَ في ٱلفُنْدُقِ . وَ شاهَدوا شَخْصًا يَجْري صَوْبَ طَريقِ ٱلتَّلِّ ، وَشاهَدوا ٱلسَّيِّدَ هَكْستَر يَقْفِزُ في ٱلـهَواءِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ عَلى وَجْهِهِ وَ كَتِفِهِ . وَجَرى هُول وَٱثْنانِ مِنَ ٱلعُمّالِ إلى آخِرِ ٱلشّارِعِ ، فَرَأَوُا ٱلسَّيِّدَ مارْفِل يَتَوارى وَراءَ جِدارِ أَحَدِ ٱلـمَباني .

بَيْدَ أَنَّ هُول لَـمْ يَكَدْ يَجْري بِضْعَ خُطُواتٍ حَتّى أَطْلَقَ صَرْخَةً عالِيَةً وَسَقَطَ عَلى جَنْبِهِ جاذِبًا مَعَهُ أَحَدَ ٱلعامِلَيْنِ . وَ لَـحِقَ بِـهِما ٱلعامِلُ ٱلثّاني ، وَطُرِحَ هُوَ أَيْضًا أَرْضًا . وَعِنْدَئِذٍ أَقْبَلَ ٱلـحَشْدُ ٱلقادِمُ مِنَ ٱلقَرْيَةِ ، وَ دَهِشَ أَوَّلُ ٱلقادِمينَ عِنْدَما رَأى هَكْستَر وَ هُول واقِعَيْنِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَفَجْأَةً حَدَثَ شَيْءٌ لِقَدَمَيْهِ فَإذا بِهِ راقِدٌ عَلى ظَهْرِهِ ، وَٱلـحَشْدُ ٱلقادِمُ يَتَساقَطُ فَوْقَهُ ، وَٱللَّعَناتُ تَنْهالُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنّاسِ ٱلغاضِبينَ .

عِنْدَما جَرى هُول وَهَنْفري وَٱلعامِلانِ مِنَ ٱلفُنْدُقِ إلى ٱلطَّريقِ بَقِيَتْ زَوْجَةُ هُول وَحْدَها في ٱلـمَطْعَمِ . وَفَجْأَةً فُتِحَ بابُ ٱلرَّدْهَةِ وَبَرَزَ عَلى عَتَبَتِهِ ٱلسَّيِّدُ كاس ، وَدونَ أَنْ يُحَوِّلَ إلَيْها بَصَرَهُ قَفَزَ يَطْوي ٱلدَّرَجَ مُتَّجِهًا إلى

آلطَّريقِ صارِخًا : « أَمْسِكوهُ ! لا تَدَعوهُ يَرْمي آلكُتُبَ آلَّتي في يَدِهِ ! فَما دامَ مُمْسِكًا بِآلكُتُبِ فَستَتَمَكَّنونَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَكانِهِ . »

بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مارْڤِل ؛ لِأَنَّ آلرَّجُلَ آلخَفِيَّ كانَ قَدْ أَعْطاهُ آلكُتُبَ لِيَحْمِلَها عَنْهُ وَ هُوَ في آلفِناءِ .

وَ كانَتْ عَلاماتُ آلغَضَبِ وَآلتَّصْميمِ بادِيَةً عَلى وَجْهِ آلسَّيِّدِ كاس ، أَمّا ثِيابُهُ فَكانَ شَأْنُها عَجيبًا . . . فَبَدَلًا مِنَ آلبَنْطَلونِ كانَ يَلُفُّ حَوْلَ بَطْنِهِ وَساقَيْهِ مِفْرَشَ آلمائِدَةِ ، وَ كانَ لا يَزالُ يَصيحُ : « أَمْسِكوهُ ! لَقَدِ آسْتَوْلى عَلى بَنْطَلوني ! لَقَدِ آسْتَوْلى عَلى كُلِّ ثِيابِ آلسَّيِّدِ بَنْتِنْغ ! »

وَعِنْدَما بَلَغَ ناصِيَةَ آلطَّريقِ لِيَنْضَمَّ إلى حَشْدِ آلنّاسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ يُطْرَحُ أَرْضًا ، فَأَخَذَ يَرْكُلُ آلأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ . وَداسَ أَحَدُهُمْ عَلى أُصْبُعِهِ ، وَأَخَذَ يُجاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلى قَدَمَيْهِ ، فَآصْطَدَمَ بِهِ شَيْءٌ وَأَلْقاهُ ثانِيَةً عَلى رُكْبَتَيْهِ . وَرَأى آلنّاسَ جَميعًا يَرْكُضونَ عائِدينَ إلى آلقَرْيَةِ ، فَآنْتَصَبَ عَلى قَدَمَيْهِ لِلْمَرَّةِ آلثّانِيَةِ ، فَإذا بِهِ يَتَلَقّى لَطْمَةً خَلْفَ أُذُنِهِ ، فَأَسْرَعَ عائِدًا إلى فُنْدُقِ آلقَرْيَةِ بِأَقْصى ما يَسْتَطيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَ في طَريقِهِ قَفَزَ مُتَخَطِّيًا هَكْسْتَر آلَّذي كانَ جالِسًا عَلى آلأَرْضِ .

وَبَعْدَ أَنْ صَعِدَ نِصْفَ سُلَّمِ آلفُنْدُقِ ، سَمِعَ صَيْحَةَ غَضَبٍ مُفاجِئَةً تَجاوَزَتْ في شِدَّتِها صَوْتَ آلـجَلَبَةِ آلسّائِدَةِ ، ثُمَّ صَوْتَ صَفْعَةٍ سُدِّدَتْ إلى وَجْهِ شَخْصٍ ما . وَأَدْرَكَ أَنَّ صَيْحَةَ آلغَضَبِ كانَتْ لِلرَّجُلِ آلـخَفِيِّ .

وَفي آللَّـحْظَةِ آلتّالِيَةِ كانَ آلسَّيِّدُ كاس قَدْ عادَ إلى آلرَّدْهَةِ .

قالَ وَ هُوَ يَنْدَفِعُ إلى آلدّاخِلِ : « إنَّهُ عائِدٌ يا بَنْتِنْغ ! أُنْجُ بِنَفْسِكَ ! »

وَ كانَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ واقِفًا عِنْدَ آلنّافِذَةِ يُحاوِلُ أَنْ يَسْتُرَ جَسَدَهُ بِآلسَّجّادَةِ وَبِإحْدى آلصُّحُفِ ، فَسَأَلَهُ ـ وَ قَدْ بَلَغَتْ دَهْشَتُهُ حَدًّا كادَتْ مَعَهُ مَلابِسُهُ تَسْقُطُ عَنْ جَسَدِهِ ـ : « مَنِ آلعائِدُ ؟ »

أَجابَ كاس : « الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ . » وَآنْدَفَعَ نَحْوَ آلنّافِذَةِ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « خَيْرٌ لَنا أَنْ نَهْرُبَ مِنْ هُنا ، أَسْرِعْ ! إنَّهُ يُقاتِلُ كآلـمَجْنونِ ! »

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ كانَ في آلفِناءِ .

وَسَمِعَ آلسَّيِّدُ بَنْتِنْغ جَلَبَةَ صِراعٍ عَنيفٍ في آلـمَمْشى ، فَآسْتَقَرَّ رَأْيُهُ عَلى أَنْ يُغادِرَ آلـمَكانَ . وَخَرَجَ مِنَ آلنّافِذَةِ ، وَآنْطَلَقَ يَجْري عَبْرَ شارِعِ آلقَرْيَةِ بِأَسْرَعِ ما تَسْتَطيعُ ساقاهُ آلسَّمينَتانِ أَنْ تَحْمِلاهُ .

الفَصْلُ آلحادِيَ عَشَرَ

السَّيِّدُ مارْڤِل يُحاوِلُ رَفْضَ آلـمُهِمَّةِ

كانَ آلسَّيِّدُ مارْڤِل يَسيرُ مُتَأَلِّمًا وَسْطَ آلـحِراجِ آلكَثيفَةِ مُتَّجِهًا إلى برامْبِلْهِرِسْت . وَكانَ تَعيسًا وَهُوَ يَحْمِلُ ثَلاثَةَ كُتُبٍ وَبَعْضَ آلـمَلابِسِ آلـمَلْفوفَةِ في مِفْرَشِ مائِدَةٍ أَزْرَقِ آللَّوْنِ .

وَكانَ يُصاحِبُهُ صَوْتٌ ، وَتُمْسِكُ بِهِ بِقُوَّةٍ يَدانِ غَيْرُ مَرْئِيَّتَيْنِ .

قالَ آلصَّوْتُ مُرَدِّدًا : « لَوْ أَنَّكَ حاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخْرى . . . لَوْ أَنَّكَ حاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخْرى فَسَأَقْتُلُكَ . »

أَجابَ آلسَّيِّدُ مارْڤِل : « إِنِّي لَـمْ أُحاوِلْ أَنْ أَهْرُبَ . »

اِنْهالَ آلصَّوْتُ عَلَيْهِ بِآلسِّبابِ وَآللَّعَناتِ ، ثُمَّ سَكَتَ . وَ بَدا آلسَّيِّدُ مارْڤِل مُتْعَبًا مَنْهوكَ آلقُوى ؛ لِأَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ يَأْلَفُ آلعَمَلَ آلشّاقَّ . وَسادَ آلصَّمْتُ بُرْهَةً مِنَ آلوَقْتِ ، ثُمَّ قالَ آلصَّوْتُ : « يَجِبُ أَنْ أُفيدَ مِنْكَ . إِنَّكَ مَـخْلوقٌ مِسْكينٌ ، وَلٰكِنّـي مُضْطَرٌّ إلى ذٰلِكَ . »



قالَ مارْڤِل : « نَعَمْ إنَّني رَجُلٌ مِسْكينٌ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « صَدَقْتَ . »

قالَ مارْڤِل : « إنَّني لَسْتُ قَوِيًّا . » وَسَكَتَ قليلاً ثُمَّ كَرَّرَ قَوْلَهُ : « إنَّني لَسْتُ قَوِيًّا . فَقَلْبي ضَعيفٌ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ما تَبْغيهِ مِنّي . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « بَلْ سَأَجْعَلُكَ تَفْعَلُ ما أُريدُ . »

قالَ مارْڤِل : « لَيْتَني مِتُّ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « واصِلِ ٱلـمَشْـيَ ! سِرْ ! تَحَرَّكْ ! »

قالَ مارْڤِل : « يا لَها مِنْ قَسْوَةٍ . »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « أُصْمُتْ ! سَأَعْمَلُ عَلى أَنْ أَجْعَلَكَ مُرْتاحًا . وَلٰكِنِ ٱلْزَمِ ٱلسُّكوتَ ؛ فَإِنّي أُريدُ أَنْ أُفَكِّرَ . »

وَ بَعْدَ قَليلٍ تَراءَتْ لَـهُما أَنْوارُ قَرْيَةٍ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « سَأُبْقي يَدي عَلى كَتِفِكَ ، فَٱدْخُلِ ٱلقَرْيَةَ وَسِرْ فيها ، وَلا تُحاوِلْ أَنْ تَقولَ شَيْئًا لِأَحَدٍ . »

الفَصْلُ آلثّانِـي عَشَرَ
في ميناءِ آسْتُو

في آلعاشِرَةِ مِنْ صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي ، جَـلَسَ آلسَّيِّدُ مارْڤِل خارِجَ فُنْدُقٍ صَغيرٍ في ميناءِ آسْتُو ، وَهُوَ قَذِرٌ حَزينٌ ، تَكادُ آلدُّموعُ تَطْفِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَ بِجانِبِهِ آلكُتُبُ آلثَّلاثَةُ ، وَلٰكِنَّها هٰذِهِ آلـمَرَّةَ كانَتْ مَرْبوطَةً بِخَيْطٍ . أما آلثِّيابُ فَقَدْ تَرَكَها في آلـحِراجِ آلقَريبَةِ مِنْ برامْبِلْهِرِسْت . كانَ آلسَّيِّدُ مارْڤِل جالِسًا عَلى أَريكَةٍ عِنْدَ آلبابِ ، وَرَغْمَ أَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ يَلْقى أيَّ آهْتِمامٍ مِنْ أَحَدٍ ، إلّا أَنَّهُ كانَ مُنْفَعِلاً مُتَوَتِّرَ آلأَعْصابِ .

وَبَعْدَ آنْقِضاءِ قُرابَةِ آلسّاعَةِ ـ وَمارْڤِل جالِسٌ مَكانَهُ ـ خَرَجَ مِنَ آلفُنْدُقِ بَحّارٌ عَجوزٌ في يَدِهِ صَحيفَةٌ ، وَآسْتَوى جالِسًا بِجانِبِهِ عَلى آلأَريكَةِ .

قالَ آلبَحّارُ : « طَقْسٌ جَميلٌ آليَوْمَ . »

تَطَلَّعَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل إلى ٱلبَحّارِ بِعَيْنَيْنِ يَتَجَلّى فيهِما ٱلرُّعْبُ ، وَرَدَّدَ في ٱقْتِضابٍ : « جِدًّا . »



أدارَ آلبَحّارُ بَصَرَهُ فيما حَوْلَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ما يَفْعَلُهُ ، ثُمَّ آسْتَقَرَّتْ عَيْناهُ عَلى ثِيابِ آلسَّيِّدِ مارْفِل آلَّتي عَلاها آلتُّرابُ ، وَعَلى آلكُتُبِ آلَّتي بِجوارِهِ . وَسَمِعَ خَشْخَشَةَ نُقودٍ تُلْقى في جَيْبِ جارِهِ ، وَرأى أَنَّ آلسَّيِّدَ مارْفِل لَيْسَ ذٰلِكَ آلرَّجُلَ آلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ نُقودًا كَثيرَةً .

سَأَلَهُ آلبَحّارُ فَجْأَةً : « أَهٰذِهِ كُتُبٌ؟ »

هَبَّ آلسَّيِّدُ مارْفِل واقِفًا ، وَنَظَرَ إِلى آلكُتُبِ قائِلًا : « آهٍ . . . نَعَمْ ! نَعَمْ إِنَّها كُتُبٌ ! »

فَقالَ آلبَحّارُ : « إِنَّ في آلكُتُبِ أَشْياءَ غَريبَةً . »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْفِل : « نَعَمْ . »

قالَ آلبَحّارُ : « وَفي خارِجِها أَشْياءُ غَريبَةٌ . »

قالَ آلسَّيِّدُ مارْفِل : « هٰذا صَحيحٌ . »

قالَ آلبَحّارُ : « فَفي آلصُّحُفِ مَثَلًا أَشْياءُ غَريبَةٌ . »

« صَدَقْتَ »

قالَ ٱلبَحّارُ : « في هٰذِهِ ٱلصَّحيفَةِ شيْءٌ غَريبٌ . فيها قِصَّةُ رَجُلٍ خَفِيٍّ . »

ثُمَّ رَوى لِلسَّيِّدِ مارْقِل ٱلشَّطْرَ ٱلأَكْبَرَ مِمّا نَشَرَتْهُ ٱلصَّحيفَةُ عَنِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ . وَأَرْدَفَ : « إِنَّني لا أُحِبُّ هٰذا ، فَقَدْ يَكونُ في أَيِّ مَكانٍ ، وَقَدْ يَكونُ هُنا في هٰذِهِ ٱللَّحْظَةِ يَسْتَمِعُ إِلى حَديثِنا . وَتَخَيَّلْ أَنَّهُ إِنْ أَرادَ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَقْتُلَ ، فَما ٱلَّذي سَيَمْنَعُهُ ؟ »

وَبَدا أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مارْقِل كانَ يُنْصِتُ إِلى أَقَلِّ صَوْتٍ .

قالَ : « الواقِعُ أَنَّ . . . » وَخَفَضَ مِنْ صَوْتِهِ وَقالَ : « لَقَدْ تَصادَفَ أَنْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ . »

سَأَلَهُ ٱلبَحّارُ : « أَنْتَ ؟ »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل : « نَعَمْ ، أَنا ! »

وَلَمْ يَبْدُ عَلى ٱلبَحّارِ أَنَّهُ صَدَّقَ ٱلسَّيِّدَ مارْقِل .

وَشَرَعَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل يَقولُ : « لَقَدْ حَدَثَ ٱلأَمْرُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ . . . »

وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ ، وَهَبَّ مِنْ مَقْعَدِهِ يَتَأَوَّهُ مِنَ ٱلأَلَمِ .

سَأَلَهُ ٱلبَحّارُ : « ماذا حَدَثَ ؟ »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل : « أَعْتَقِدُ . . . . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَنْصَرِفَ . »

قالَ ٱلبَحّارُ : « وَلٰكِنَّكَ كِدْتَ تُحَدِّثُني عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ . »

وَبَدا عَلى ٱلسَّيِّدِ مارْقِل ٱلاسْتِغْراقُ في ٱلتَّفْكيرِ .

وَقالَ صَوْتٌ : « هٰذا كَذِبٌ . »

وَوافَقَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل قائِلًا : « نَعَمْ ، هٰذا كَذِبٌ . »

قالَ ٱلبَحّارُ : « إِنَّهُ مَنْشورٌ في ٱلصَّحيفَةِ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل بِصَوْتٍ عالٍ : « نَعَمْ ، وَلٰكِنَّها قِصَّةٌ كاذِبَةٌ . وَأَنا أَعْرِفُ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي ٱبْتَدَعَها فَلَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٌ ٱسْمُهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ . »

« وَلٰكِنْ ما رَأْيُكَ فيما نَشَرَتْهُ ٱلصَّحيفَةُ ؟ أَ تُريدُ أَنْ تَقولَ . . . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل مُؤَكِّدًا : « لَيْسَ فيها كَلِمَةٌ واحِدَةٌ صَحيحَةٌ . »

وَحَدَّقَ إِلَيْهِ ٱلبَحّارُ وَٱلصَّحيفَةُ في يَدِهِ ، وَتَلَفَّتَ ٱلسَّيِّدُ مارْقِل حَوْلَهُ .

وَقالَ ٱلبَحّارُ : « إِنْتَظِرْ قَليلًا . » ثُمَّ قامَ وَأَخَذَ يَقولُ بِبُطْءٍ : « أَ تُريدُ

أَنْ تَقولَ . . . ؟ »

أَجابَهُ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل مُقاطِعًا : « نَعَمْ ، هٰذا ما أُريدُ أَنْ أَقولَهُ . »

« إِذًا لِماذا تَرَكْتَني أَرْوي لَكَ كُلَّ هٰذا ؟ ما ٱلَّذي كُنْتَ تَرْمي إِلَيْهِ حينَ جَعَلْتَني أَبْدو ساذَجًا مُغَفَّلًا أُرَدِّدُ عَلَيْكَ قِصَّةً كاذِبَةً ؟ »

اِرْتَفَعَ صَوْتٌ يَقولُ : « تَقَدَّمْ ! » وَفَجْأَةً أُديرَ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل ، وَبَدَأَ يَمْشي قَفْزًا بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ .

قالَ ٱلبَحّارُ وَقَدْ تَباعَدَتْ ساقاهُ ، وَوَقَفَ يَرْقُبُ ٱلرَّجُلَ وَهُوَ يَبْتَعِدُ : « أَيُّها ٱلشَّيْطانُ ٱلأَحْمَقُ ! سَوْفَ أُريكَ ، أَيُّها الأَحْمَقُ ٱلمُغَفَّلُ ! إِنَّها مَنْشورَةٌ هُنا في ٱلصَّحيفَةِ ! »

عِنْدَئِذٍ حَدَثَ شَيْءٌ عَجيبٌ . . . شَيْءٌ سَمِعَهُ البَحّارُ وَرآهُ بِمِلْءِ عَيْنَيْهِ : حَفْنَةٌ مِنَ ٱلنُّقودِ ٱلمَعْدِنِيَّةِ تَسيرُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها مُلْتَصِقَةً بِٱلجِدارِ . وَقَدْ رَأى صَديقٌ لِلْبَحّارِ هٰذا ٱلمَشْهَدَ ٱلعَجيبَ صَباحَ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ نَفْسِهِ . وَلَمّا حاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ ٱلنُّقودَ لَطَمَتْهُ يَدٌ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ فَطَرَحَتْهُ أَرْضًا ، وَلَمّا وَقَفَ عَلى رِجْلَيْهِ كانَتِ ٱلنُّقودُ قَدِ ٱخْتَفَتْ .

وَكانَتْ قِصَّةُ ٱلنُّقودِ ٱلطّائِرَةِ حَقيقِيَّةً لا يُداخِلُها ٱلشَّكُّ ؛ فَقَدْ كانَتِ

ٱلنُّقودُ تَمْشي بِهُدوءٍ مِنَ ٱلْأَماكِنِ ٱلـمُـجاوِرَةِ ، حَتّى مِنَ ٱلـمَصْرِفِ وَٱلـمَتاجِرِ وَ ٱلفَنادِقِ ، وَكانَتْ تَتَّخِذُ طَريقَها إِلى جَيْبِ ٱلسَّيِّدِ مارْفِل .

وَقَدْ سَمِعَ ٱلبَحّارُ هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ .

الفَصْلُ آلثّالِث عَشَرَ

الرَّجُلُ آلَّذي في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ

في آلسّاعاتِ آلأولى مِنْ مَساءِ أَحَدِ آلأَيّامِ كانَ آلدُّكْتورُ كِمْب جالِسًا في مَكْتَبِهِ آلقائِمِ عَلى آلتَّلِّ آلَّذي يُشْرِفُ عَلى قَرْيَةِ بِرْدُوك . وَ كانَتْ غُرْفَةُ آلـمَكْتَبِ أَنيقَةً صَغيرَةً في آلطّابَقِ آلعُلْوِيِّ ، وَلَها ثَلاثُ نَوافِذَ تُطِلُّ عَلى آلشَّمالِ وَآلغَرْبِ وَآلـجَنوبِ ، وَتَنْتَظِمُ جُدْرانَها رُفوفٌ مُكَدَّسَةٌ بِآلكُتُبِ ، وَ بِها مَكْتَبٌ عَريضٌ . وَ كانَ آلدُّكْتورُ كِمْب طَويلَ آلقامَةِ ، نَحيفَ آلـجِسْمِ ، في حَوالى آلخامِسَةِ وَآلثَّلاثينَ ، بِرَأْسِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ شَعْرٍ كانَ أَشْقَرَ في يَوْمٍ مِنَ آلأَيّامِ . وَكانَ جالِسًا إلى مَكْتَبِهِ مُنْهَمِكًا في آلكِتابَةِ .

وَحَدَثَ أَنْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ عَنْ عَمَلِهِ ، فَوَقَعَتا عَلى مَنْظَرِ آلغُروبِ وَراءَ آلتَّلِّ آلـمُقابِلِ لِـمَنْزِلِهِ . وَ مَرَّتْ دَقيقَةٌ وَ هُوَ جالِسٌ ، وَ قَلَـمُهُ في فَمِهِ ، يَتَأَمَّلُ بِإِعْجابٍ لَوْنَ شَمْسِ آلغُروبِ آلذَّهَبِيَّ آلـمُتَأَلِّقَ ؛ وَعِنْدَئِذٍ لَـمَحَ شَبَحًا ضَئيلاً لِرَجُلٍ يَجْري عَلى آلتَّلِّ مُتَّجِهًا ناحِيَتَهُ . وَ كانَ ذا قامَةٍ تَميلُ

إلى ٱلقِصَرِ ، ضَئيلَ ٱلجِسْمِ ، عَلى رَأْسِهِ قُبَّعَةٌ قَديمَةٌ قَذِرَةٌ ، وَ كانَ يَجْري بِسُرْعَةٍ . وَ نَهَضَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب ، وَٱتَّجَهَ إلى ٱلنّافِذَةِ ، وَراحَ يُحَمْلِقُ ناحِيَةَ ٱلتَّلِّ ، وَيُتابِعُ بِبَصَرِهِ ٱلشَّبَحَ ٱلضَّئيلَ ٱلَّذي يَرْكُضُ هابِطًا ٱلتَّلَّ . وَ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَبْدو أَنَّهُ في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . »

وَتَوارى ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي كانَ يَجْري وَراءَ بَعْضِ ٱلبُيوتِ ؛ ثُمَّ عادَ إلى ٱلظُّهورِ ، وَ ٱخْتَفى مَرَّةً أُخْرى ـ وَ كانَ لا يَزالُ يَجْري .

أَمّا ٱلَّذينَ كانوا عَلى كَثَبٍ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَوْا عَلاماتِ ٱلرُّعْبِ بادِيَةً عَلى وَجْهِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ يَمينًا أَوْ شِمالاً ، وَإِنَّما كانَتْ عَيْناهُ ٱلواسِعَتانِ تُحَدِّقانِ إلى مَهْبِطِ ٱلتَّلِّ حَيْثُ تُلْقي مَصابيحُ ٱلشّارِعِ بِأَنْوارِها ، وَ حَيْثُ يَزْحَمُ ٱلنّاسُ ٱلطَّريقَ .

وَما مَرَّ بِإِنْسانٍ إلّا تَوَقَّفَ عَنِ ٱلمَسيرِ وَحَمْلَقَ إلى ٱلطَّريقِ . وَ أَخَذَ ٱلنّاسُ ، وَقَدْ غَشِيَهُمْ شَيْءٌ مِنَ ٱلخَوْفِ يَتَساءَلونَ عَمّا يَدْفَعُ هٰذا ٱلرَّجُلَ إلى أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ .

وَفي تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، وَبِأَعْلى ٱلتَّلِّ ، نَبَحَ كَلْبٌ كانَ يَلْهو في ٱلطَّريقِ ، وَجَرى تَحْتَ بَوّابَةٍ . وَ بَيْنَما كانَ ٱلنّاسُ يَتَساءَلونَ ، إذا بِشَيْءٍ



- بِريحٍ أَوْ بِوَقْعِ أَقْدامٍ ، أَوْ بِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِ أَنْفاسٍ قَوِيَّةٍ - يَنْدَفِعُ مارًّا بِـهِمْ .

صَرَخَ آلنّاسُ ، وَ آبْتَعَدوا عَنْ عُرْضِ آلطَّريقِ ، وَعَلا صُراخُهُمْ عِنْدَما آنْدَفَعَ هٰذا آلشَّيْءُ مارًّا بِـهِمْ إلى أَسْفَلِ آلتَّلِّ .

وَكانوا يَصْرُخونَ في آلشّارِعِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مارْقِل مِنْ بُلوغِ نِصْفِ آلطَّريقِ . وَأَخَذوا جَميعًا يَرْكُضونَ إلى دورِهِمْ ، وَيُغْلِقونَ آلأَبْوابَ وَراءَهُمْ ، وَ يَتَناقَلونَ خَبَرًا واحِدًا . وَسَمِعَهُ مارْقِل ؛ فَآنْدَفَعَ إلى آلطَّريقِ . وَ سَبَقَهُ آلـخَوْفُ إلى آلنّاسِ ، وَسَرْعانَ ما مَلَكَهُم ؛ وَ لَـمْ تَمْضِ إلّا لَـحْظَةٌ حَتّى سادَ آلبَلْدَةَ كُلَّها ، وَأَخَذَ آلـجَميعُ يَصْرُخونَ : « الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ قادِمٌ ! الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ ! »

الفَصْلُ ٱلرّابِعَ عَشَرَ

في "جُولي كرِيكِيتارْز"

"جُولي كرِيكِيتارْز" فُنْدُقٌ صَغيرٌ يَقَعُ عِنْدَ سَفْحِ ٱلتَّلِّ . وَكانَ عامِلُ مَطْعَمِ ٱلفُنْدُقِ مُسْتَنِدًا إلى ذِراعَيْهِ ٱلـحَمْراوَيْنِ ٱلـمُكْتَنِزَتَيْنِ عَلى مِنْضَدَةٍ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ حوذِيٍّ عَنِ ٱلـجِيادِ .

وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ ذو لِـحْيَةٍ سَوْداءَ يَتَناوَلُ بَسْكَويتًا وَ جُبْنًا وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إلى شُرْطِيٍّ بِلُكْنَةٍ أَمْريكِيَّةٍ .

قالَ ٱلحوذِيُّ مُحاوِلًا ٱلنَّظَرَ إلى ما وَراءَ ٱلتَّلِّ مِنْ خَلْفِ ٱلسَّتائِرِ ٱلصَّفْراءِ ٱلـمُتَّسِخَةِ ٱلـمُسْدَلَةِ عَلى نافِذَةِ ٱلفُنْدُقِ : « لِـمَ هٰذا ٱلصِّياحُ ؟ » وَمَرَّ أَحَدُهُمْ خارِجَ ٱلفُنْدُقِ مُسْرِعًا .

قالَ عامِلُ ٱلـمَطْعَمِ : « لَعَلَّهُ حَريقٌ . »

وَفُتِحَ ٱلبابُ بِدَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَدَخَلَ مارْڤِل مُنْدَفِعًا ، وَهُوَ يَبْكي ، بِدونِ

قُبَّعَةٍ ، وَقَدْ تَمَزَّقَتْ ياقَةُ سُتْرَتِهِ . وَحاوَلَ أَنْ يُغْلِقَ آلبابَ وَراءَهُ ، وَكانَ نِصْفَ مَفْتوحٍ ، وَمَرْبوطًا بِشَريطٍ .

وَصاحَ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ مِنْ شِدَّةِ آلرُّعْبِ : « قادِمٌ ! إِنَّهُ قادِمٌ ! الرَّجُلُ آلـخَفِيُّ وَرائي ! بِآللهِ عَلَيْكُمْ أَنْقِذوني ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! »

قالَ آلشُّرْطِيُّ : « أَغْلِقوا آلأَبْوابَ . مَنْ هُوَ هٰذا آلقادِمُ ؟ ماآلـخَبَرُ ؟ »

وَمَشى إِلى آلبابِ ، وَفَكَّ آلشَّريطَ ، فَآنْصَفَقَ آلبابُ ، وَ أَغْلَقَ آلرَّجُلُ آلـمُلْتَحي آلبابَ آلثّانِـيَ .

قالَ مارْفِل باكِيًا : « دَعونى أَخْتَبِئْ ! أَغْلِقوا عَلَيَّ في أَيِّ مَكانٍ . أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ يَتَعَقَّبُني ، وَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُ وَقالَ إِنَّهُ سَيَقْتُلُني ، وَسَيَفْعَلُ . »

قالَ لَهُ آلرَّجُلُ ذو آللِّـحْيَةِ آلسَّوْداءِ : « إِنَّكَ آلآنَ في أَمانٍ ، وَآلبابُ مُغْلَقٌ كَما تَرى . . وَلٰكِنْ لِـمَ كُلُّ هٰذا ؟ »

قالَ مارْفِل : « خَبِّئوني ! » ثُمَّ أَطْلَقَ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً حينَ زَعْزَعَتْ فَجْأَةً خَبْطَةٌ قَوِيَّةٌ آلبابَ آلـمُغْلَقَ . وَأَعْقَبَتِ آلـخَبْطَةَ طَرَقاتٌ مُتَتابِعَةٌ وَزَعيقٌ خارِجَ آلبابِ .

صاحَ ٱلشُّرْطِيُّ : « مَنْ هُناكَ ؟ »

وَصَرَخَ مارْڤِل : « إِنَّهُ سَيَقْتُلُني . . . إِنَّ مَعَهُ مُدْيَةً أَوْ ما أَشْبَهَ . لا تَفْتَحوا ٱلبابَ . . . أَرْجوكُمْ أَلاّ تَفْتَحوا ٱلبابَ . . أَيْنَ أَخْتَبِئُ ؟ »

تَساءَلَ ذو ٱللِّحْيَةِ ٱلسَّوْداءِ وَ إِحْدى يَدَيْهِ وَراءَهُ : « أَ هٰذا هُوَ إِذًا ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ؟ أَظُنُّ أَنَّ ٱلوَقْتَ قَدْ حانَ لِكَيْ نَراهُ . »

وَفَجْأَةً تَهَشَّمَتْ نافِذَةُ ٱلفُنْدُقِ ، وَتَعالَتِ ٱلصَّرَخاتُ ، وَراحَ ٱلنّاسُ يَجْرونَ في ٱلشّارِعِ . وَٱعْتَلى ٱلشُّرْطِيُّ مَقْعَدًا ، وَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ ٱلنّافِذَةِ مُحاوِلاً أَنْ يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ ٱلَّذي يَطْرُقُ ٱلبابَ . ثُمَّ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ ٱلـمَقْعَدِ وَقالَ : « إِنَّهُ ذٰلِكَ ٱلَّذي تَتَحَدَّثونَ عَنْهُ . »

وَوَقَفَ عامِلُ ٱلـمَطْعَمِ أَمامَ بابِ ٱلرَّدْهَةِ ٱلَّتي كانَ ٱلسَّيِّدُ مارْڤِل مُخْتَبِئًا فيها ، وَراحَ يُحَدِّقُ إِلى ٱلنّافِذَةِ ٱلـمُهَشَّمَةِ ، ثُمَّ ٱتَّجَهَ ناحِيَةَ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلآخَرَيْنِ .

وَفَجْأَةً سادَ ٱلسُّكونُ ٱلـمَكانَ ، فَقالَ ٱلشُّرْطِيُّ : « أَتَمَنّى لَوْ أَنَّ عَصايَ مَعي ؛ فَإِذا فَتَحْنا ٱلبابَ دَخَلَ ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ شَيْءٌ. »

قالَ ٱلحوذِيُّ بِنَبْرَةِ قَلَقٍ : « لا تَتَعَجَّلْ فَتْحَ ٱلبابِ . »

قالَ ذو ٱللِّحْيَةِ ٱلسَّوْداءِ : « إِفْتَحوا البابَ ، فَإذا دَخَلَ . . . »

وَأَبْرَزَ يَدَهُ مِنْ وَراءِ ظَهْرِهِ مُمْسِكَةً بِمُسَدَّسٍ .

قالَ ٱلشُّرْطِيُّ : « هٰذا لا يَجوزُ . تِلْكَ جَريمَةُ قَتْلٍ . »

رَدَّ ذو ٱللِّحْيَةِ : « إِنّي أَعْرِفُ قانونَ هٰذِهِ ٱلبِلادِ . سَأُطْلِقُ ٱلنّارَ عَلى ساقَيْهِ . اِفْتَحِ ٱلبابَ . »

أَجابَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ : « كَيْفَ أَفْتَحُهُ وَ ٱلمُسَدَّسُ وَراءَ ظَهْري ؟ »

قالَ ٱلرَّجُلُ ذو ٱللِّحْيَةِ ٱلسَّوْداءِ : « سَنَرى ! » ثُمَّ تَقَدَّمَ وَ مُسَدَّسُهُ مُعَدٌّ في يَدِهِ ، وَ فَتَحَ بِنَفْسِهِ قُفْلَ ٱلبابِ ، وَ أَخَذَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ وَٱلحوذِيُّ وَ ٱلشُّرْطِيُّ يَتَلَفَّتونَ حَوْلَهُمْ .

قالَ ذو ٱللِّحْيَةِ ٱلسَّوْداءِ بِصَوْتٍ خَفيضٍ ، وَقَدِ ٱرْتَدَّ إِلى ٱلوَراءِ ، وَوَقَفَ مُواجِهًا ٱلبابَ ، وَ مُسَدَّسُهُ وَراءَ ظَهْرِهِ : « أُدْخُلْ ! » وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَدْخُلْ ، وَ ظَلَّ ٱلبابُ مُغْلَقًا .

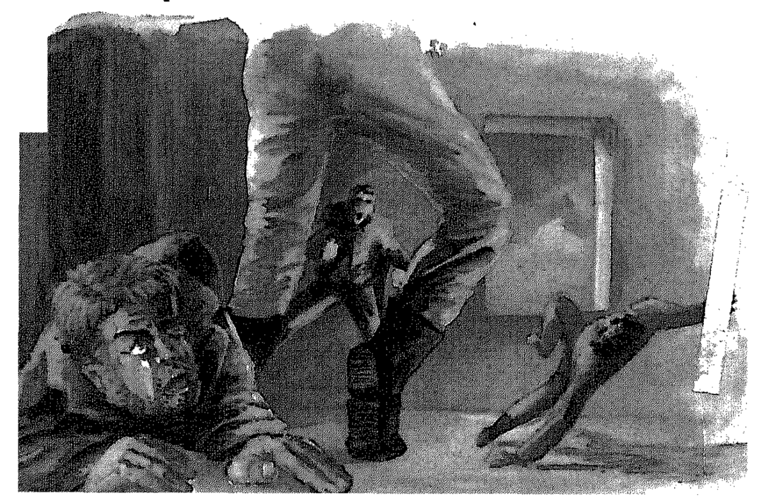
اِنْقَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ دونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ ، فَسَأَلَ مارْڤِل : « هَلْ كُلُّ أَبْوابِ ٱلفُنْدُقِ مُغْلَقَةٌ ؟ إِنَّهُ يَمُرُّ ٱلآنَ بِٱلأَبْوابِ ٱلخَلْفِيَّةِ . »

قالَ عامِلُ آلـمَطْعَمِ : « هُناكَ بابُ آلفِناءِ ، وَآلبابُ آلخاصُّ . وَبابُ آلفِناءِ . . . » وَآنْطَلَقَ يَجْري مُغادِرًا آلـمَكانَ .

وَ عادَ بَعْدَ دَقيقَةٍ وَ في يَدِهِ سِكِّينٌ حادَّةٌ طَويلَةٌ ، وَقالَ : « كانَ بابُ آلفِناءِ مَفْتوحًا . »

عَقَّبَ آلحوذِيُّ قائِلًا : « لَعَلَّهُ آلآنَ داخِلَ آلفُنْدُقِ . »

أَعادَ ذو آللِّـحْيَةِ آلسَّوْداءِ مُسَدَّسَهُ إلى جَيْبِهِ ، وَفيما هُوَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ آنْكَسَرَ قُفْلُ آلبابِ ، وَآنْدَفَعَ شَيْءٌ بِجِوارِهِمْ وَتَجاوَزَهُمْ ، وَفُتِحَ بابُ آلرَّدْهَةِ بِعُنْفٍ . وَ تَناهَتْ إلى أَسْماعِهِمْ صَرْخَةٌ أَطْلَقَها مارْڤِل ؛ فَخَفُّوا إلى نَجْدَتِهِ . وَأَطْلَقَ ذو آللِّـحْيَةِ مُسَدَّسَهُ ، وَتَهَشَّمَتِ آلـمِرْآةُ آلَّتي تَتَصَدَّرُ



ٱلرَّدْهَةَ ، وَتَناثَرَتْ شَظاياها عَلى ٱلأَرْضِ .

وَعِنْدَما دَخَلَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ إلى ٱلغُرْفَةِ رَأى مارْفِل يُقاوِمُ عِنْدَ ٱلبابِ ٱلمُفْضي إلى ٱلفِناءِ وَٱلمَطْبَخِ . ثُمَّ رَأى ٱلبابَ يُفْتَحُ عَلى مِصْراعَيْهِ ، وَ رَأى مارْفِل يُجَرُّ عَلى ٱلأَرْضِ إلى ٱلمَطْبَخِ .

كانَ ٱلشُّرْطِيُّ يُحاوِلُ أَنْ يَتَخَطّى عامِلَ ٱلمَطْعَمِ ، فَلَمّا تَسَنّى لَهُ ذٰلِكَ ؛ ٱنْدَفَعَ مُسْرِعًا وَٱلحوذِيُّ وَراءَهُ ، وَقَبَضَ عَلى يَدِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ ٱلَّتي تُمْسِكُ بِمارْفِل ، وَلٰكِنَّهُ تَلَقّى لَكْمَةً في وَجْهِهِ طَرَحَتْهُ أَرْضًا .

وَعِنْدَئِذٍ ٱسْتَطاعَ ٱلحوذِيُّ أَنْ يَقْبِضَ عَلى شَيْءٍ وَصاحَ : « لَقَدْ أَمْسَكْتُهُ . »

قالَ عامِلُ ٱلمَطْعَمِ : « ها هُوَ ذا ! »

وَسَقَطَ ٱلسَّيِّدُ مارْفِل فَجْأَةً عَلى ٱلأَرْضِ ، فَحاوَلَ أَنْ يَزْحَفَ خَلْفَ أَرْجُلِ ٱلمُتَقاتِلينَ . وَٱسْتَمَرَّ ٱلقِتالُ مَرَّةً بِجِوارِ ٱلبابِ وَ مَرَّةً أُخْرى بَعيدًا عَنْهُ . وَ سُمِعَ صَوْتُ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ حينَ داسَ ٱلشُّرْطِيُّ عَلى قَدَمِهِ ، فَصَرَخَ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ ٱنْهالَتْ لَكَماتُهُ في كُلِّ ٱتِّجاهٍ . وَصَرَخَ ٱلحوذِيُّ فَجْأَةً ، وَوَقَعَ عَلى ٱلأَرْضِ وَقَدْ أَصابَتْ مَعِدَتَهُ رَكْلَةٌ . وَٱنْصَفَقَ بابُ

آلـمَطْبَخِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّلَ مِنْهُ آلسَّيِّدُ مارْفِل . وَأَلْفى آلرِّجالُ آلَّذينَ في آلـمَطْبَخِ أَنْفُسَهُمْ يُقاتِلونَ آلـهَواءَ .

وَصاحَ آلرَّجُلُ ذو آللِّـحْيَةِ : « أَيْنَ ذَهَبَ ؟ هَلْ خَرَجَ ؟ »

أَجابَ آلشُّرْطِيُّ وَهُوَ يَمْضي إلى آلفِناءِ مُسْرِعًا ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ : « مِنْ هٰذا آلطَّريقِ . »

وَرَأى حَـجَرًا يَطيرُ في آلـهَواءِ ، وَيَمُرُّ بِـمُحـاذاةِ رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ فَوْقَ مِنْضَدَةِ آلـمَطْبَخِ .

صاحَ ذو آللِّـحْيَةِ : « سَأُريهِ . » وَأَطْلَقَ خَـمْسَ رَصاصاتٍ مُتَتالِيَةٍ في آلاتِّجاهِ آلَّذي جاءَ مِنْهُ آلـحَـجَرُ .

وَكانَ يُطْلِقُ آلنّارَ ذاتَ آليَمينِ وَ ذاتَ آلشِّمالِ حَتّى تُغَطِّيَ كُلَّ أَنْحاءِ آلفِناءِ آلصَّغيرِ آلضَّيِّقِ .

وَأَعْقَبَ ذٰلِكَ سُكونٌ ، ثُمَّ قالَ : « هَيّا بِنا نَتَلَـمَّسْ جُثَّتَهُ . »

الفَصْلُ ٱلـخامِسَ عَشَرَ

زائِرُ ٱلدُّكْتورِ كِمْب

كانَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب جالِسًا إِلى مَكْتَبِهِ ، مُنْهَمِكًا في ٱلكِتابَةِ ، حينَ سَمِعَ دَوِيَّ ٱلطَّلَقاتِ ٱلنّارِيَّةِ ٱلـمُتَتابِعَةِ .

وَوَضَعَ ٱلقَلَـمَ في فَمِهِ قائِلًا : « ما هٰذا ؟ مَنْ ذا ٱلَّذي يُطْلِقُ ٱلنّارَ في بِرْدُوك ؟ تُرى ما ٱلَّذي يَجْري ٱلآنَ ؟ »

وَمَضى إِلى ٱلنّافِذَةِ ٱلـمُطِلَّةِ عَلى ٱلنّاحِيَةِ ٱلـجَنوبِيَّةِ وَفَتَحَها وَأَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْها ، وَحَدَّقَ في ٱتِّجاهِ ٱلقَرْيَةِ ، وَقالَ : « يَبْدو أَنَّ ثَمَّةَ حَشْدًا مِنَ ٱلنّاسِ عِنْدَ سَفْحِ ٱلتَّلِّ بِٱلقُرْبِ مِنْ فُنْدُقِ " الكريكِيتارْز " ، ثُمَّ أَخَذَتْ عَيْناهُ تَجولانِ بِأَرْجاءِ ٱلقَرْيَةِ حَتّى ٱسْتَقَرَّتا عَلى ٱلأَضْواءِ ٱلـمُنْبَعِثَةِ مِنَ ٱلسُّفُنِ ٱلرّاسِيَةِ بَعيدًا . وَكانَ ٱلقَمَرُ لا يَزالُ هِلالًا يُطِلُّ عَلى ٱلتَّلِّ ناحِيَةَ ٱلغَرْبِ ، وَ ٱلنُّجومُ مُضيئَةً مُتَلأْلِئَةً .

وَبَعْدَ خَـمْـسِ دَقائِقَ أَغْلَقَ ٱلدُّكْتورُ كِمْب ٱلنّافِذَةَ ، وَعادَ إِلى

مَكْتَبِهِ . وَبَعْدَ قُرابَةِ آلسّاعَةِ دُقَّ جَرَسُ الباب آلأَمامِيِّ ، وَلَبِثَ في مَكانِهِ مُنْصِتًا ، ثُمَّ سَمِعَ وَقْعَ خُطُواتِ آلـخادِمَةِ وَهِيَ تَتَّجِهُ إلى آلبابِ ، وَتَوَقَّعَ أَنْ يَسْمَعَ خُطاها وَهِيَ تَرْتَقي آلدَّرَجَ في طَريقِها إلَيْهِ ، بَيْدَ أَنَّها لَـمْ تَحْضُرْ .

قالَ آلدُّكْتورُ كِمْب : « إنّي لأَعْجَبُ ! مَنْ كانَ هٰذا؟! »

وَحاوَلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عَمَـلَهُ ، وَلٰكِنَّهُ أَخْفَقَ ، فَزايَلَ مَقْعَدَهُ ، وَنَزَلَ مِنْ حُـجْرَةِ آلـمَكْتَبِ ، وَدَقَّ آلـجَرَسَ ، وَنادى آلـخادِمَةَ حينَ رَآها تَجْتازُ آلبَهْوَ .

سَأَلَها : « مَنْ كانَ ذٰلِكَ آلطّارِقُ ؟ أَ هُوَ مُوَزِّعُ آلبَريدِ يَحْـمِلُ إلَيَّ خِطابًا ؟ »

أَجابَتْ : « كَلّا يا سَيِّدي . لَقَدْ دُقَّ آلـجَرَسُ ، وَلٰكِنّي لَـمْ أَجِدْ أَحَدًا . »

رَجَعَ آلدُّكْتورُ كِمْب إلى حُـجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَ هُوَ يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ : « إنَّهُ لأَمْرٌ عَجيبٌ يُثيرُ قَلَقي ! »

وَما إنِ آنْقَضَتْ لَـحَظاتٌ حَتّى كانَ مُسْتَغْرِقًا في عَمَـلِهِ ، وَكانَ

آلسُّكونُ يَشْمَلُ آلـحُجْرَةَ فيما عَدا دَقّاتِ السّاعَةِ آلرَّتيبَةَ ، وَصَريرَ آلقَلَمِ وَ هُوَ يَجْري عَلى آلوَرَقِ .

وَبَلَغَتِ آلسّاعَةُ آلثّانِيَةَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ آللَّيْلِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ آلدُّكْتورُ كِمْب مِنْ عَمَلِهِ ، فَنَهَضَ وَآرْتَقى آلدَّرَجَ صاعِدًا إلى مِخْدَعِهِ . وَبَعْدَ أَنْ خَلَعَ سُتْرَتَهُ وَقَميصَهُ أَحَسَّ بِآلعَطَشِ ، فَأَخَذَ شَمْعَةً وَنَزَلَ إلى قاعَةِ آلطَّعامِ طَلَبًا لِلْماءِ .

وَكانَ آلعَمَلُ آلعِلْمِيُّ آلَّذي يُمارِسُهُ آلدُّكْتورُ كِمْب قَدْ جَعَلَهُ رَجُلًا دَقيقًا قَوِيَّ آلـمُلاحَظَةِ ؛ فَرَأى ـ وَهُوَ يَعْبُرُ آلبَهْوَ ـ بُقْعَةً داكِنَةً عَلى آلأَرْضِ بِجِوارِ آلسُّلَّمِ .

وَصَعِدَ آلدَّرَجَ مُتَمَهِّلًا ، وَفَجْأَةً أَخَذَ يَتَساءَلُ عَنْ ماهِيَّةِ هٰذِهِ آلبُقْعَةِ آلدّاكِنَةِ . وَعادَ مَرَّةً أُخْرى إلى آلبَهْوِ ، وَآنْحَنى فَوْقَ آلبُقْعَةِ وَ لَمَسَها ، وَأَدْرَكَ أَنَّ لَها كَثافَةَ آلدَّمِ آلـمُتَجَمِّدِ وَلَوْنَهُ .

وَعادَ وَصَعِدَ آلسُّلَّمَ وَ هُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ وَيُفَكِّرُ في بُقْعَةِ آلدَّمِ . وَفَجْأَةً رَأى شَيْئًا جَعَلَهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ آلسَّيْرِ ؛ فَقَدْ رَأى دَمًا عَلى مِقْبَضِ آلبابِ .

وَنَظَرَ إلى يَدِهِ ، فَوَجَدَها نَظيفَةً ، وَ عِنْدَما نَزَلَ مِنْ مَكْتَبِهِ تَذَكَّرَ أَنَّ

بابَ حُـجْرَتِهِ كانَ مَفْتوحًا ، وَأَنَّهُ لَـمْ يَلْـمِسِ آلـمِقْبَضَ قَطُّ . وَمَضى إلى مِـخْـدَعِهِ ، وَمَـلامِـحُ وَجْهِهِ هادِئَةٌ ، وَ إِنْ كانَ أَشَدَّ عَزْمًا وَتَصْميمًا مِنْ عادَتِهِ آلـمَأْلوفَةِ . وَ تَطَلَّعَ إلى آلفِراشِ ، فَإِذا بِبِرْكَةِ دَمٍ تَتَوَسَّطُهُ ، وَمُـلاءَةُ آلسَّريرِ مُـمَزَّقَةٌ ، وَ لَـمْ يَكُنْ قَدْ لاحَظَ هٰذا وَهُوَ فى آلـحُـجْرَةِ مِنْ قَبْلُ . أَمّا آلنّاحِيَةُ آلأُخرى مِنَ آلفِراشِ فَقَدْ بَدَتْ وَ كَأَنَّ ثَمَّةَ شَخْصًا يَرْقُدُ عَلَيْها .

عِنْدَئِذٍ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتًا خافِتًا يَقولُ : « يا إِلٰـهي ! أَ هٰذا أَنْتَ يا كِمْب ؟ » بَيْدَ أَنَّ كِمْب لَـمْ يَكُنْ مِـمَّنْ يُؤْمِنونَ بِآلأَصْواتِ آلـخَفِيَّةِ .

لَبِثَ كِمْب مَكانَهُ يُحَدِّقُ في آلفِراشِ . أَ كانَ هٰذا حَقًّا صَوْتًا ؟ وَأَدار بَصَرَهُ فيها حَوْلَهُ مَرَّةً أُخرى ، وَلٰكِنَّهُ لَـمْ يَلْـحَظْ شَيْئًا . بَيْدَ أَنَّهُ سَمِعَ بِوُضوحٍ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ عَبْرَ آلـحُـجْرَةِ ، وَداخَـلَهُ شُعورٌ غَريبٌ ، فَأَسْرَعَ وَأَغْلَقَ آلبابَ وَوَقَفَ أَمامَهُ . وَفَجْأَةً أَبْصَرَ ضِمادَةً مُـلَوَّثَةً بِآلدَّمِ ، مُعَلَّقَةً في آلـهَواءِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ آلفِراشِ .

وَنَظَرَ إِلَيْها بِدَهْشَةٍ ، وَكانَتْ ضِمادَةً فارِغَةً لا شَيْءَ فيها ، وَكانَتْ مَعْقودَةً بِطَريقَةٍ صَحيحَةٍ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ خاوِيَةً . وَهَمَّ بِأَنْ يُمْسِكَها ،

وَلٰكِنَّ لَـمْسَةَ يَدٍ أَوْقَفَتْهُ مَكانَهُ ، وَسَمِعَ صَوْتًا عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ ، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « كِمْب ! »

فَقالَ كِمْب وَقَدْ فَتَحَ فَمَهُ مِنْ فَرْطِ دَهْشَتِهِ : « آه ! »

قالَ ٱلصَّوْتُ : « إِنَّني رَجُـلٌ خَفِيٌّ . »

لَبِثَ كِمْب بُرْهَةً مُطْبِقًا فَمَهُ لا يَتَكَلَّـمُ ، وَإِنَّما يُحَدِّقُ إِلى ٱلضِّمادَةِ ، ثُمَّ قالَ مُتَسائِلًا : « الرَّجُـلُ ٱلـخَفِيُّ ؟! »

وَكَرَّرَ ٱلصَّوْتُ : « نَعَمْ ، إِنَّني رَجُـلٌ خَفِيٌّ . »

قالَ كِمْب : « حَسِبْتُ ٱلْأَمْرَ أُكْذوبَةً . » وَتَساءَلَ : « هَلْ تَضَعُ ضِمادَةً ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُـلُ ٱلـخَفِيُّ : « نَعَمْ . »

عَقَّبَ كِمْب بِقَوْلِهِ : « فَهِمْتُ ! » ثُمَّ أَرْدَفَ : « أَ لَيْسَ هٰذا هُراءً ؟ لا بُدَّ أَنَّ في ٱلْأَمْرِ خُدْعَةً . » وَخَطا إِلى ٱلْأَمامِ فَجْأَةً ، وَمَدَّ يَدَهُ في ٱتِّجاهِ ٱلضِّمادَةِ ، فَٱصْطَدَمَتْ بِأَصابِعَ خَفِيَّةٍ .

« اِهْدَأْ يا كِمْب ! سَأَلْتُكَ بِٱللهِ أَنْ تَهْدَأَ ! إِنّي في مَسيسِ ٱلحاجَةِ إِلى

آلـمُساعَدَةِ ! كُفَّ عَنْ هٰذا . »

وَأَطْبَقَتْ عَلى ذِراعِ كِمْب يَدٌ خَفِيَّةٌ ، وَتَشَبَّثَتْ بِها ، وَصاحَ آلصَّوْتُ : « كِمْب ! تَماسَكْ وَآهْدَأْ ! »

وَتَمَلَّكَتْ كِمْب رَغْبَةٌ في أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ آليَدِ آلَّتي تَقْبِضُ عَلى ذِراعِهِ ، وَلٰكِنَّ آليَدَ آلـخَفِيَّةَ تَشَبَّثَتْ بِكَتِفِهِ ، وَفَجْأَةً دُفِعَ إِلى آلـخَلْفِ دَفْعَةً قَوِيَّةً فَوَقَعَ عَلى آلفِراشِ ، وَفَتَحَ فَمَهُ لِيُطْلِقَ صَرْخَةً ، وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ تَنْطَلِقَ آلصَّرْخَةُ حُشِرَ طَرَفُ آلـمُـلاءَةِ بَيْنَ أَسْنانِهِ ، فَعَجَزَ عَنِ آلصِّياحِ . وَ كانَ آلرَّجُـلُ آلـخَفِيُّ مُـمْسِكًا بِهِ ، وَإِنْ كانَتْ ذِراعاهُ طَليقَتَيْنِ ؛ فَحاوَلَ أَنْ يَضْرِبَ وَ يَرْكُلَ بِعُنْفٍ .

قالَ آلرَّجُـلُ آلـخَفِيُّ : « أَصْغِ إِلى صَوْتِ آلعَقْلِ يا رَجُلُ ! سَأَلْتُكَ بِآللّٰهِ أَنْ تَتَعَقَّلَ . إِنَّكَ بِهٰذا سَتَجْعَلُني أُجَنُّ ! كُفَّ عَنِ آلـمُقاوَمَةِ ، وَآرْقُدْ هادِئًا ! قُلْتُ لَكَ آرْقُدْ هادِئًا ! »

مَضى كِمْب يُقاوِمُ لَـحْظَةً أُخْرى ، ثُمَّ هَدَأَ وَسَكَنَ .

قالَ : « دَعْني أَنْهَضْ ، وَسَأَظَلُّ مَكانِـيَ لا أُغادِرُهُ . أُتْرُكْني أَجْـلِسْ هادِئًا دَقيقَةً . »

وَآعْتَدَلَ جالِسًا ، وَتَحَسَّسَ عُنُقَهُ .

إنَّني مُـجَرَّدُ شَخْصٍ عادِيٍّ ـ شَخْصٍ كُنْتَ تَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أَصْبَحَ خَفِيًّا . هَلْ تَذْكُرُ غرِيفِين ؟ »

تَساءَلَ كِمْب : « غرِيفِين ؟ »

أجابَ آلصَّوْتُ : « نَعَمْ ، غرِيفِين . . الطّالِبُ آلَّذي كانَ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنًّا . »

« وَلٰكِنْ ما عَلاقَةُ هٰذا بِغرِيفِين ؟ »

« إنَّني أنا غرِيفِين . »

فَكَّرَ كِمْب ثُمَّ قالَ : « هٰذِهِ صَدْمَةٌ عَنيفَةٌ ، وَلٰكِنْ أَيُّ عَمَـلٍ مِنْ أَعْمالِ آلشَّيْطانِ يُحَوِّلُ آلـمَرْءَ إلى رَجُـلٍ خَفِيٍّ ؟! »

« لَيْسَ هٰذا مِنْ أَعْمالِ آلشَّيْطانِ . إنَّهُ عَمَـلٌ شَريفٌ وَ بَسيطٌ لِـلْغايَةِ . »

« إنَّهُ عَمَـلٌ رَهيبٌ ! كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ . . . ؟ »

قاطَعَهُ آلرَّجُـلُ آلـخَفِيُّ بِقَوْلِهِ : « إنَّني جَريحٌ وَ أَتَأَلَّـمُ وَ مَنْهوكُ آلقُوى . كِمْب ! إنَّكَ إنْسانٌ . وَأَرْجوكَ أَنْ تَهْدَأَ ، وَتُقَدِّمَ لي طَعامًا

وَشرابًا ، وَ تَتْرُكَني أَجْـلِسُ هُنا . »

وَ أَخَذَ كِمْب يُحَدِّقُ إلى آلضِّمادَةِ وَ هِيَ تَتَحَرَّكُ في آلـحُـجْرَةِ ، ثُمَّ رَأى مَقْعَدًا يَنْزَلِقُ عَلى آلأَرْضِ ، وَ يَسْتَقِرُّ بِجِوارِ آلفِراشِ . وَ سَمِعَ صَريرَهُ ، وَ شاهَدَهُ يَنْخَفِضُ قَليلاً كَأَنَّما جَـلَسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَفَرَكَ عَيْنَيْهِ ، وَ تَحَسَّسَ عُنُقَهُ مَرَّةً أُخرى ، وَقالَ وَ هُوَ يَضْحَكُ ضِحْكَةً بَلْهاءَ : « هٰذا يَفوقُ ما تَفْعَلُهُ آلأَشْباحُ . »

« حَـمْدًا لِلّٰهِ . إِنَّكَ آلآنَ تَبْدو أَكْثَرَ تَعَقُّلاً ! »

قالَ كِمْب وَ هُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ : « أَوْ أَكْثَرَ غَباءً . »

« أَعْطِني كوبًا مِنْ عَصيرِ آلـلَّيْمونِ ، فَآلعَطَشُ يَكادُ يَقْتُلُني . »

« وَلٰكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ هَبْني قُمْتُ وَمَشَيْتُ ، فَهَلْ أَصْطَدِمُ بِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ هُناكَ ؟ فَلْيَكُنْ . . . أَ تُريدُ كوبًا مِنْ عَصيرِ آللَّيْمونِ ؟ وَلٰكِنْ أَيْنَ أُقَدِّمُهُ لَكَ ؟ »

أَحَسَّ كِمْب بِآلكوبِ يُنْتَزَعُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَفْلَتَهُ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ ، وَتَرَكَهُ يَسْبَحُ في آلـهَواءِ وَ يَسْتَقِرُّ عَلى مَسافَةِ نِصْفِ مِتْرٍ مِنَ آلـمَقْعَدِ ، فَأَخَذَ يُحَدِّقُ إِلَيْهِ قائِلاً : « إِنّي لا أُصَدِّقُ هٰذا ! أَ تُراني جُنِنْتُ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « هُراءٌ ! أَصْغِ إِلَيَّ ! إِنَّني جائِعٌ ، وَ آلـجَوُّ شَديدُ

ٱلبُرودَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إلى رَجُلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ ٱلثِّيابِ . »

قالَ كِمْب : « أَ تُريدُ طَعامًا ؟ »

أَفْرَغَ كوبُ ٱللَّيْمونِ نَفْسَهُ ، وَقالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ وَ هُوَ يَضَعُهُ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ : « أَ يُمْكِنُكَ أَنْ تُعْطِيَني شَيْئًا أَرْتَديهِ ؟ »

وَجاءَهُ كِمْب بِبَعْضِ ٱلثِّيابِ وَ سَأَلَهُ : « أَ تُناسِبُكَ هٰذِهِ ؟ »

وَأَخِذَتِ ٱلمَلابِسُ مِنْ يَدِهِ ، وَ لَبِثَتْ مُعَلَّقَةً في ٱلهَواءِ ، ثُمَّ زُرِّرَتْ وَٱسْتَقَرَّتْ بَعْدَ ذٰلِكَ جالِسَةً عَلى ٱلمَقْعَدِ .

قالَ كِمْب : « هٰذا شَيْءٌ يُفْقِدُ ٱلمَرْءَ عَقْلَهُ ، وَ لَمْ أَرَ لَهُ مَثيلاً في حَياتي . »

« إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلطَّعامِ . »

مَضى كِمْب إلى ٱلمَطْبَخِ وَ عادَ بِبَعْضِ ٱلخُبْزِ وَ ٱللَّحْمِ ، وَوَضَعَهُما عَلى ٱلمِنْضَدَةِ أَمامَ ضَيْفِهِ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « لا داعِيَ لأَنْ تُحْضِرَ سِكّينًا ! »

وَٱرْتَفَعَتْ قِطْعَةُ لَحْمٍ وَ تَعَلَّقَتْ في ٱلهَواءِ ، ثُمَّ ٱخْتَفَتْ مَصْحوبَةً بِصَوْتِ ٱلمَضْغِ .



قالَ : « إنّني أُحِبُّ دائِمًا أَنْ أكونَ مُرْتَدِيًا ثِيابي وَ أَنا أَتَناوَلُ ٱلطَّعامَ . »

« هَلْ ذِراعُكَ سَليمَةٌ ؟ »

« إنَّها تُؤْلِمُني قَليلاً . »

« هٰذا أَمْرٌ يُثيرُ ٱلجُنونَ ! »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « إنَّهُ أَمْرٌ مَعْقولٌ جِدًّا ! »

تَساءَلَ كِمْب : « لٰكِنْ كَيْفَ أُصِبْتَ ؟ لِماذا كانَتِ ٱلطَّلَقاتُ ؟ كَيْفَ بَدَأَ إِطْلاقُ ٱلنّارِ ؟ »

« لَقَدْ قابَلْتُ رَجُلاً ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ يُساعِدُني . لَعْنَةُ ٱللهِ

عَلَيْهِ ! لَقَدْ حاوَلَ أَنْ يَسْرِقَ نُقودي ، وَ قَدْ سَرَقَها فِعْلاً . »

« أَ هُوَ أَيْضًا رَجُلٌ خَفِيٌّ ؟ »

« كَلاّ . »

« وَماذا بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

« أَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَني بِمَزيدٍ مِنَ ٱلطَّعامِ قَبْلَ أَنْ أَرْوِيَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ؟ إِنَّني جائِعٌ ، وَٱلجُرْحُ يُؤْلِمُني ، وَ أَنْتَ تُريدُ مِنّي أَنْ أَحْكِيَ لَكَ حِكاياتٍ ! »

نَهَضَ كِمْب واقِفًا وَ سَأَلَهُ : « وَ أَنْتَ ، هَلْ أَطْلَقْتَ ٱلنّارَ ؟ »

أَجابَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « كَلاّ ، لَمْ أُطْلِقْ نارًا ، وَ ٱلَّذي أَطْلَقَ ٱلنّارَ رَجُلٌ أَحْمَقُ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ بَصَري مِنْ قَبْلُ . وَفَزِعَ كَثيرٌ مِنَ ٱلنّاسِ . . . فَزِعوا مِنّي . لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ جَميعًا ! قُلْتُ لَكَ أُريدُ مَزيدًا مِنَ ٱلطَّعامِ يا كِمْب . »

أَجابَ كِمْب : « سَأَرى إِنْ كانَ في ٱلطّابَقِ ٱلسُّفْلِيِّ طَعامٌ . وَ أَخْشى أَلاّ يَكونَ لَدَيَّ مِنْهُ إِلاّ قَليلاً . »

وَعادَ كِمْب بِمَزيدٍ مِنَ ٱلطَّعامِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ ٱلضَّيْفُ طَلَبَ إِلَيْهِ كِمْب أَنْ يُحاوِلَ ٱلنَّوْمَ .

الفَصْلُ ٱلسّادِسَ عَشَرَ

الرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَنامُ

رَغْمَ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ كانَ جَريحًا مَنْهوكَ ٱلقُوى ، إلّا أَنَّهُ أَبى أَنْ يَطْمَئِنَّ إلى وَعْدِ كِمْب بِأَنَّهُ لَنْ يُحاوِلَ أَحَدٌ ٱلقَبْضَ عَلَيْهِ . فَفَحَصَ نافِذَتَيْ حُـجْرَةِ ٱلنَّوْمِ ، وَ أَزاحَ ٱلسَّتائِرَ وَ فَتَحَ ٱلنّافِذَتَيْنِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ طَريقِهِما كَما قالَ لَهُ كِمْب . وَ كانَ ٱللَّيْلُ خارِجَ ٱلـمَنْزِلِ ساكِنًا لِلْغايَةِ ، وَ كانَ ٱلقَمَرُ يَتَهَيَّأُ لأَنْ يَتَوارى وَراءَ ٱلتَّلِّ . ثُمَّ فَحَصَ مِفْتاحَ بابِ حُـجْرَةِ ٱلنَّوْمِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ رِضاهُ ٱلتّامِّ ، وَوَقَفَ بِجانِبِ ٱلـمِدْفَأَةِ ، وَنَدَّتْ عَنْ صَدْرِهِ تَنْهيدَةٌ توحي بِٱلكَسَلِ وَٱلرَّغْبَةِ في ٱلنَّوْمِ .

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « يُؤْسِفُني أَلّا أَسْتَطيعَ أَنْ أُخْبِرَكَ بِما فَعَلْتُهُ ٱللَّيْلَةَ . إنِّني مُرْهَقٌ ، وَٱلأَمْرُ كُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلـحَماقَةِ دونَ رَيْبٍ . إنَّهُ لَأَمْرٌ فَظيعٌ ! وَلٰكِنْ صَدِّقْني يا كِمْب ، إنَّ ٱلـمَسْأَلَةَ ، رَغْمَ حُـجَجِكَ ، مُمْكِنَةٌ . . لَقَدْ تَوَصَّلْتُ إلى ٱكْتِشافٍ هامٍّ ، وَقَصَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا ،

وَلٰكِنِّي لا أَسْتَطِيعُ ؛ إِذْ لا بُدَّ لي مِنْ مُساعِدٍ . وَأَنْتَ . . . إِنَّنا نَسْتَطِيعُ مَعًا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ٱلعَظِيمَةِ . . . وَلٰكِنْ إلى آلغَدِ . وَآلآنَ يا كِمْب يَجِبُ أَنْ أَنامَ وَ إِلّا فَسَأَموتُ . »

الفَصْلُ آلسّابعَ عَشَرَ
كَيْفَ تُصْبِحُ خَفِيًّا ؟

في صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي تَناهَتْ إلى سَمْعِ كِمْب جَلَبَةٌ عالِيَةٌ ؛ فَمَضى لِيوقِظَ ضَيْفَهُ .

سَأَلَ كِمْب حينَ سَمَحَ لَهُ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ بِآلدُّخولِ : « ما آلـخَبَرُ ؟ »

وَكانَ آلـجَوابُ : « لا شَيْءَ. »

قالَ كِمْب : « وَلٰكِنَّها ضَجَّةٌ شَديدَةٌ . »

قالَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ : « كُنْتُ غاضِبًا . وَقَدْ نَسيتُ ذِراعي ، وَهاهِيَ ذي تُؤْلِـمُني . »

سَأَلَهُ كِمْب : « أَ مِنْ عادَتِكَ أَنْ تَثورَ غَضَبًا ؟ »

« هٰذا صَحيحٌ . »

« إنَّ قِصَّتَكَ مَنْشورَةٌ بِأَكْمَلِها في ٱلصُّحُفِ . »

وَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَسُبُّ وَ يَلْعَنُ .

قالَ كِمْب : « تَعالَ وَ تَناوَلْ فَطورَكَ . وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ عَنْكَ ٱلـمَزيدَ . » وَكانَ قَدِ ٱسْتَوى جالِسًا ، وَعَلى وَجْهِهِ سِماتُ ٱلـجِدِّ وَ ٱلاهْتِمامِ .

قالَ غرِيفِين ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « إنَّ ٱلأَمْرَ في غايَةِ ٱلبَساطَةِ . »

ضَحِكَ كِمْب وَ قالَ : « إنَّ ٱلأَمْرَ بِلا شَكٍّ بَسيطٌ لِلْغايَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إلَيْكَ ، وَ لٰكِنْ . . . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ بَدا ٱلأَمْرُ لي في ٱلبِدايَةِ عَجيبًا بِلا شَكٍّ . وَلٰكِنَّنا سَوْفَ نَقومُ بِأَعْمالٍ عَظيمَةٍ يا صَديقي ! لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ ٱلسِّرَّ بادِئَ ذي بَدْءٍ وَ أَنا في كُلِّيَّةِ شيزِلْستو . »

« شـيـزِلْستو ؟ »

« نَعَمْ ، فَبَعْدَ أَنْ غادَرْتُ لَنْدَن ٱلْتَحَقْتُ بِكُلِّيَّةِ شيزِلْستو . وَ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّني كُنْتُ دائِمًا شَديدَ ٱلاهْتِمامِ بِٱلضَّوْءِ . »

« بِٱلضَّبْطِ . »

« قُلْتُ لِنَفْسي : "سَأُكَرِّسُ حَياتي لِـهٰذا ٱلفَرْعِ مِنَ ٱلعُلومِ . . إنَّهُ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ جَهْدي . "وَأَنْتَ تَعْلَـمُ مَدى حَماقَتِنا في ٱلثّانِيَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنَ ٱلعُمْرِ . »

قالَ كِمْب : « حَـمْقى آنَذاكَ وَ حَـمْقى ٱلآنَ ، وَكَأَنَّ ٱلـمَعْرِفَةَ فَحَسْبُ تُرْضي ٱلإنْسانَ ! »

وَٱسْتَطْرَدَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ طَريقَةً لِتَغْييرِ جِسْمِ ٱلإنسانِ ، أَوْ أَيِّ جِسْمٍ آخَرَ . . . » وَعِنْدَئِذٍ أَوْضَحَ ٱلرَّجُلُ ٱلغَريبُ ـ وَبِعِبارَةٍ أَدَقَّ ـ أَوْضَحَتْ ثِيابُ ٱلرَّجُلِ ٱلجالِسَةُ أَمامَ كِمْب كَيْفَ ٱخْتَفى أَحَدُ طَلَبَةِ ٱلعُلومِ . وَ كانَ شَرْحًا طَويلاً ٱسْتَهَلَّهُ بِأَنْ ذَكَّرَ كِمْب قائِلًا : « إذا أَخَذْتَ قِطْعَةً مِنَ ٱلزُّجاجِ وَ سَحَقْتَها فَإنَّها تَتَحَوَّلُ إلى مَسْحوقٍ أَبْيَضَ صَلْدٍ مِثْلِ ٱلـمِلْـحِ ، وَلا يُمْكِنُ ٱلرُّؤْيَةُ مِنْ خِلالِهِ . وَلَـحْـمُ ٱلإنْسانِ ، وَ ٱلوَرَقُ ٱلأَبْيَضُ ، وَٱلقُماشُ ، وَٱلشَّعْرُ ، كُلُّها في ٱلواقِعِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ نَوْعٍ مِنَ ٱلـمَساحيقِ . وَ تُحَلِّلُ ٱلـحُبَيْباتُ ٱلدَّقيقَةُ لِـهٰذِهِ ٱلـمَساحيقِ ٱلضَّوْءَ ٱلَّذي يَسْقُطُ عَلَيْها فَلا يَنْفُذُ مِنْها ، وَلِذٰلِكَ فَإنَّنا نَرى لَـحْـمَ ٱلإنْسانِ وَٱلوَرَقَ .

« وَإذا ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْسُطَ وَ تُسَوِّيَ ٱلـحُبَيْباتِ ٱلـمُـحَطَّمَةَ بِحَيْثُ

لا تُحَلِّلُ ٱلضَّوْءَ فَإِنَّها لَنْ تَبْدُوَ صَلْدَةً . وَ عِنْدَئِذٍ سَيَنْفُذُ مِنها ٱلضَّوْءُ مِثْلَما يَنْفُذُ مِنِّي ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ . وَ يُمْكِنُكَ أَنْ تُجَرِّبَ هٰذا بِقِطْعَةٍ مِنَ ٱلوَرَقِ ٱلأَبْيَضِ وَقَطْرَةٍ مِنَ ٱلزَّيْتِ . فَما عَلَيْكَ إِلّا أَنْ تَضَعَ قَليلاً مِنَ ٱلزَّيْتِ عَلى ٱلوَرَقَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَتَرى ٱلأَشْياءَ مِنْ خِلالِـها . وَإِذا كانَ ٱلزَّيْتُ مِنْ نَوْعٍ جَيِّدٍ تَمامًا ، وَٱلوَرَقَةُ مِنْ نَوْعٍ رَديءٍ تَمامًا ، فَإِنَّكَ سَتَتَمَكَّنُ مِنْ أَنْ تَرى ما هُوَ مَكْتوبٌ عَلى ٱلوَرَقَةِ مِنَ ٱلنّاحِيَةِ ٱلأُخْرى .

« وَٱلسَّبَبُ في هٰذا أَنَّ ٱلزَّيْتَ ناعِمٌ رَقيقٌ ، وَبِذٰلِكَ يُنَعِّمُ ٱلسَّطْحَ ٱلـخَشِنَ لِكُلِّ حُبَيْبَةٍ مِنْ حُبَيْباتِ ٱلـمَسْحوقِ .

« وَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ شَيْئًا يَفْعَلُ بِلَـحْمِ ٱلإِنْسانِ ما يَفْعَلُهُ ٱلزَّيْتُ بِٱلوَرَقِ ، وَتَأْثيرُهُ كامِلٌ رائِعٌ حَتّى إِنَّهُ ما مِنْ ذَرَّةٍ في جَسَدي تَصُدُّ ٱلضَّوْءَ ، فَكَأَنَّكَ بِذٰلِكَ حَوَّلْتَ ٱلزُّجاجَ ٱلـمَسْحوقَ إِلى زُجاجٍ سَليمٍ مِثْلِ زُجاجِ هٰذِهِ ٱلنّافِذَةِ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ . »

وَتَناوَلَ ٱلـحِوارُ بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ ـ شَأْنُ ما يَجْري بَيْنَ ٱثْنَيْنِ مِنَ ٱلعُلَماءِ ـ كُلَّ أَنْواعِ ٱلـمَسائِلِ وَٱلإِيضاحاتِ . وَٱسْتَوْلى ٱلعَجَبُ ٱلشَّديدُ عَلى كِمْب حَتّى إِنَّهُ نَسِـيَ أَنَّ صَديقَهُ كانَ خَفِيًّا لا يُرى .

قالَ ٱلصَّوْتُ : « نَعَمْ ، لَقَدِ ٱكْتَشَفْتُ هٰذا كُلَّهُ ، وَ كانَ طَريقُ

ٱلبَحْثِ أَمامي مَفْتوحًا ، وَ عِنْدَئِذٍ ، وَ بَعْدَ سَنَواتٍ مِنَ ٱلاهْتِمامِ وَٱلعَمَلِ في ٱلسِّرِّ ، عَرَفْتُ أَنِّي لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا . وَقَدْ أَدْرَكْتُ هٰذا وَ أَنا مَغْلوبٌ عَلى أَمْري . وَكانَ هٰذا بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ مِنَ ٱلسِّرِّيَّةِ وَٱلعَناءِ . »

سَأَلَهُ كِمْب : « لِماذا أَدْرَكْتَ أَنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ مالٌ . » وَذَهَبَ مَرَّةً أُخْرى إِلى ٱلنّافِذَةِ يُحَدِّجُ فيما وَراءَها .

ثُمَّ أَدارَ رَأْسَهُ قائِلًا : « لَقَدْ سَرَقْتُ ٱلرَّجُلَ ٱلعَجوزَ . . نَعَمْ سَرَقْتُ أَبي ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلمالُ مالَهُ ، فَٱنْتَحَرَ بِأَنْ أَطْلَقَ ٱلنّارَ عَلى نَفْسِهِ . »

الفَصْلُ آلثّامِنَ عَشَرَ

في آلـمَنْزِلِ آلواقِعِ في شارِعِ غرِيت بُورتْلاند

مَضَتْ لَـحْظَةٌ وَ كِمْب يَجْـلِسُ صامِتًا يُحَـمْـلِقُ إلى ظَهْرِ هٰذا آلشَّخْصِ آلَّذي بِلا رَأْسٍ ، وَآلواقِفِ عِنْدَ آلنّافِذَةِ يُطِلُّ مِنْها . ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا ، وَ أَمْسَكَ ذِراعَ آلرَّجُـلِ آلـخَفِيِّ ، وَ أَبْعَدَهُ عَنِ آلنّافِذَةِ قائِلًا : « إنَّكَ مُتْعَبٌ مَكْدودٌ . فَبَيْنَما أَجْـلِسُ أنا ، تَتَمَشّـى أَنْتَ في أَرْجاءِ آلغُرْفَةِ . إلَيْكَ مَقْعَدي فَآجْـلِسْ . »

وَوَقَفَ بَيْنَ غرِيفِين وَ أَقْرَبِ نافِذَةٍ مِنْهُ حَتّى يَحولَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُشاهَدَةِ ما يَجْري في آلخارِجِ .

اِنْقَضَتْ فَتْرَةٌ وَ غرِيفِين جالِسٌ لائِذٌ بِآلصَّمْتِ ، ثُمَّ شَرَعَ يُتابِعُ قِصَّتَهُ .

قالَ : « كُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ آلكُلِّيَّةَ عِنْدَما حَدَثَ ذٰلِكَ ، وَكانَ في ديسَمْبِر آلماضي . وَ قَدْ نَزَلْتُ بِغُرْفَةٍ في لَنْدَن في مَنْزِلٍ كَبيرٍ في شارِعِ غرِيت

بُورتْلاند . بَدَا ٱلأَمْرُ عِنْدي أَشْبَهَ بِحُـلْـمٍ . . . تِلْكَ ٱلزِّيارَةُ ٱلقَصيرَةُ لأَبي في بَيْتِنا ٱلعَتيقِ ، ثُمَّ ٱلعَوْدَةُ إلى غُرْفَتي . لَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ عِنْدَئِذٍ أَنَّني أَفَقْتُ مِنْ حُـلْـمٍ عَلى ٱلأَشْياءِ ٱلـحَقيقِيَّةِ . هُنا كانَتْ تِلْكَ ٱلأَشْياءُ ٱلَّتي عَرَفْتُها وَ أَحْبَبْتُها . . . هُنا كانَتِ ٱلـمُعَدّاتُ تَنْتَظِرُني . . . وَ ٱلتَّجارِبُ مُهَيَّأَةً تَتَرَقَّبُ عَوْدَتي . . . وَلَـمْ تَكُنْ ثَمَّةَ صُعوبَةٌ تَعْتَرِضُ ٱلطَّريقَ ، فيما عَدا تَخْطيطَ ٱلتَّفاصيلِ .

وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ ، إِنْ عاجِلاً أَوْ آجِلاً ، يا كِمْب بِٱلتَّفاصيلِ ٱلـمُعَقَّدَةِ ٱلـمُتَشابِكَةِ ، إِذْ إِنَّنا لَسْنا بِحاجَةٍ ٱلآنَ إلى أَنْ نَطْرُقَها .

إِنَّني ما زِلْتُ أَذْكُرُ ٱلقَليلَ مِنْها ، أَمّا مُعْظَمُها فَمُدَوَّنٌ بِٱلرُّموزِ في تِلْكَ ٱلكُتُبِ ٱلَّتي أَخْفاها ذٰلِكَ ٱلأَفّاقُ ، ٱلَّذي يَنْبَغي أَنْ نَتَعَقَّبَهُ وَ نَقْبِضَ عَلَيْهِ . في ٱلبِدايَةِ أَجْرَيْتُ ٱلتَّجْرِبَةَ عَلى قِطْعَةٍ مِنَ ٱلصّوفِ ٱلأَبْيَضِ ، وَكانَ أَغْرَبَ شَيْءٍ في ٱلدُّنيا أَنْ تَراها تَتَلاشى كَٱلدُّخانِ وَ تَخْتَفي .

« وَكِدْتُ لا أُصَدِّقُ أَنَّني فَعَلْتُ هٰذا ، وَ أَدْخَـلْتُ يَدي في ٱلفَراغِ ، فَلَـمَسْتُ قِطْعَةَ ٱلصّوفِ جامِدَةً مُتَجَسِّدَةً . نَعَمْ شَعَرْتُ بِها ، وَ أَلْقَيْتُ بِها عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ عانَيْتُ شَيْئًا مِنَ ٱلـمَشَقَّةِ في ٱلاهْتِداءِ إِلَيْها ثانِيَةً . »

« عِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ صَوْتًا خَـلْفي ، وَحينَ ٱسْتَدَرْتُ رَأَيْتُ عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ

قِطَّةً بَيْضاءَ شَديدَةَ ٱلقَذارَةِ . وَ خَطَرَتْ بِرأْسي فِكْرَةٌ ، وَ قُلْتُ في نَفْسي : "كُلُّ شيْءٍ مُهَيَّأٌ لَكَ" وَ مَضَيْتُ إلى ٱلنّافِذَةِ فَفَتَحْتُها ، وَنادَيْتُ ٱلقِطَّةَ بِصَوْتٍ رَقيقٍ فَدَخَلَتْ . وَكانَتِ ٱلمِسْكينَةُ ظَمْأى ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْها قَليلاً مِنَ ٱللَّبَنِ ، وَ بَعْدَها أَخَذَتْ تَتَجَوَّلُ في ٱلغُرْفَةِ وَتَتَشَمَّمُ أَرْكانَها لِتَأْلَفَ ٱلمَكانَ . وَأَثارَتْها قَليلاً قِطْعَةُ ٱلصّوفِ ٱلخَفِيَّةُ ، وَلَيْتَكَ رَأَيْتَها وَهِيَ تَبْصُقُ عَلَيْها ، وَ لٰكِنّي أَرَحْتُها بِأَنْ حَمَلْتُها إلى فِراشي . »

سَأَلَ كِمْب : « وَعِنْدَئِذٍ جَعَلْتَها خَفِيَّةً ؟ »

أَجابَ : « نَعَمْ ، وَقَدِ ٱسْتَغْرَقَ ذٰلِكَ أَرْبَعَ ساعاتٍ . »

سَأَلَ كِمْب : « أَ تُريدُ أَنْ تَقولَ إِنَّ في ٱلدُّنْيا ٱلآنَ قِطَّةً خَفِيَّةً ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ : « وَلِمَ لا ؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ قُتِلَتْ ! »

قالَ كِمْب : « لِمَ لا ؟ واصِلْ حَديثَكَ . »

وَصَمَتَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ قالَ : « كانَتِ ٱلفِكْرَةُ ٱلوَحيدَةُ ٱلواضِحَةُ في ذِهْني هِيَ أَنَّ ٱلعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يَكْتَمِلَ ، وَ أَنْ يَصِلَ إلى نِهايَتِهِ بِسُرْعَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَدَيَّ مِنَ ٱلمالِ إِلاَّ ٱلنَّزْرُ ٱلقَليلُ . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ عُدْتُ إلى ٱلبَيْتِ ، وَ تَناوَلْتُ ٱلطَّعامَ ،

وَأَوَيْتُ إلى آلفِراشِ دونَ أَنْ أَخْلَعَ ثِيابي .

« وَصَحَوْتُ فَجْأَةً عَلى طَرَقاتٍ عالِيَةٍ فَوْقَ بابي ، وَكانَ آلطّارِقُ هُوَ صاحِبَ آلـمَنْزِلِ ، وَقالَ إنَّني كُنْتُ أُؤْذي قِطَّةً في آلـمَساءِ ، وَإنَّهُ عَلى يَقينٍ مِنْ هٰذا ، إذْ كانَ يَسْمَعُ مُواءَها ، وَإنَّهُ يُريدُ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ آلـمَوضوعِ . وَأَجَبْتُهُ بِأَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ في غُرْفَتي أَيَّةُ قِطَّةٍ في ذٰلِكَ آلـمَساءِ ؛ فَقالَ إنَّ آلـجَلَبَةَ آلَّتي تُحْدِثُها تَجارِبي تُسْمَعُ في جَميعِ أَرْجاءِ آلبَيْتِ . وَكانَ عَلى حَقٍّ في هٰذا ، ثُمَّ خَطا إلى داخِلِ آلغُرْفَةِ ، وَسَأَلَني عَمّا أَفْعَلُ ، وَقالَ إنَّ هٰذا آلـمَنْزِلَ كانَ دائِمًا مَنْزِلاً مُـحْتَرَمًا . وَأَخيرًا ثارَ غَضَبي ، فَدَفَعْتُهُ خارِجَ آلـحُـجْرَةِ ، وَأَوْصَدْتُ آلبابَ ، فَأَثارَ ضَجَّةً أَمامَ بابي ، وَلٰكِنّي لَـمْ أَحْفِلْ بِهِ ، ثُمَّ ما لَبِثَ أَنِ آنْصَرَفَ .

« وَلٰكِنّي لَـمْ أَكُنْ أَدْري ماذا يَنْوي أَنْ يَفْعَلَ ، وَلا حَتّى ما يَسْتَطيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ . وَكانَ آنْتِقالي إلى مَنْزِلٍ آخَرَ مَعْناهُ تَأْجيلُ آلتَّجْرِبَةِ . وَلَـمْ يَكُنْ لَدَيَّ آنَذاكَ إلّا عِشْرونَ جُنَيْهًا ، مُعْظَمُها مودَعٌ في آلـمَصْرِفِ . وَلَوْ أَنَّهُ آسْتَدْعى آلشُّرْطَةَ لَقاموا بِتَفْتيشِ غُرْفَتي ، فَما عَسايَ أَنْ أَفْعَلَ ؟

« أَنْ أَخْتَفِيَ طَبْعًا ! وَهٰذا ما فَعَلْتُهُ في تِلْكَ آلـلَّيْلَةِ .

« في آلبِدايَةِ أَحْسَسْتُ بِآلأَلَـمِ وَآلـمَرَضِ وَفي بَعْضِ آلأَحْيانِ كُنْتُ

أبْكي وَأنْتَحِبُ . وَكُنْتُ أكَلِّمُ نَفْسي بِصَوْتٍ عالٍ ، وَلٰكِنّي صَمَدْتُ وَلَمْ أسْتَسْلِمْ . وَلَنْ أنْسى أبَدًا مَشْهَدَ يَدَيَّ : لَقَدْ أصْبَحَتا بَيْضاوَيْنِ كَالْوَرَقِ ، وَ بَعْدَئِذٍ ، وَ في بُطْءٍ ، أصْبَحَتا شَبيهَتَيْنِ بِالزُّجاجِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَلاشَتا وَاخْتَفَتا . في أوَّلِ الأمْرِ انْتابَني ضَعْفٌ كَأنَّني طِفْلٌ صَغيرٌ ، وَكُنْتُ أمْشي عَلى قَدَمَيْنِ لا أراهُما .

« وَنِمْتُ طَوالَ فَتْرَةِ الصَّباحِ ، وَ سَحَبْتُ المُلاءَةَ فَوْقَ عَيْنَيَّ لأحْجُبَ عَنْهُما الضَّوْءَ . وَ أيْقَظَني صَوْتُ طَرَقاتٍ عَلى بابي ، وَكانَتْ قُوَّتي قَدْ عادَتْ إلَيَّ ، فَجَلَسْتُ في الفِراشِ أرْهِفُ السَّمْعَ ، وَ سَمِعْتُ لَغَطًا يَتَرَدَّدُ . وَ إنْ هِيَ إلّا لَحَظاتٌ حَتّى تَكَرَّرَتِ الطَّرَقاتُ عَلى البابِ ، وَتَعالَتْ أصْواتٌ تُناديني ، وَ لِكَيْ أكْسِبَ بَعْضَ الوَقْتِ أجَبْتُها . وَ كانَتْ نافِذَتي تُطِلُّ عَلى سَطْحِ البَيْتِ ، فَتَسَلَّلْتُ مِنْها ، وَ أغْلَقْتُها وَوَقَفْتُ خارِجَها أرْقُبُ ما يَجْري ، وَ دَخَلَ إلى الحُجْرَةِ الرَّجُلُ العَجوزُ صاحِبُ المَنْزِلِ وَوَلَداهُ .

« وَيُمْكِنُكَ أنْ تَتَخَيَّلَ الدَّهْشَةَ الَّتي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَما وَجَدوا الحُجْرَةَ خالِيَةً . وَ هُرِعَ أحَدُ الشّابَّيْنِ إلى النّافِذَةِ مِنْ فَوْرِهِ ، وَ فَتَحَها وَأطَلَّ مِنْها . وَ كانَ وَجْهُهُ المُلْتَحي قَريبًا مِنّي يَكادُ يُلامِسُني ، وَ حَدَّقَ

بِنَظَرِهِ مِنْ خِلالي ، وَ كَذٰلِكَ فَعَلَ ٱلآخَرانِ . ثُمَّ مَضى ٱلأَبُ ٱلعَجوزُ إلى ٱلفِراشِ وَ بَحَثَ تَحْتَهُ .

« وَبَيْنَما كانوا يَتَحَدَّثونَ مَعًا ، تَسَلَّلْتُ راجِعًا إلى ٱلحُجْرَةِ ، وَتَجاوَزْتُهُمْ مارًّا بِجانِبِهِمْ ، وَ هَبَطْتُ ٱلسُّلَّمَ ، وَ عَثَرْتُ في إحْدى ٱلحُجُراتِ عَلى عُلْبَةِ ثِقابٍ ، وَ عِنْدَما هَبَطوا إلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ رَجَعْتُ إلى حُجْرَتي ، وَ أَشْعَلْتُ ٱلنّارَ في ٱلأَوْراقِ وَ ٱلقَشِّ وَ ٱلفِراشِ وَٱلأَثاثِ . »

« أَشْعَلْتَ ٱلنّارَ في ٱلبَيْتِ ؟! »

« نَعَمْ ، أَشْعَلْتُ ٱلنّارَ في ٱلبَيْتِ ، فَقَدْ كانَتْ تِلْكَ هِيَ ٱلوَسيلَةَ ٱلوَحيدَةَ لإِخْفاءِ آثاري . »

وَٱنْقَضَتْ ساعَةٌ أُخْرى وَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ ماضٍ في سَرْدِ قِصَّتِهِ وَكِمْب مُصْغٍ إلَيْهِ . وَ كانَتِ ٱلقِصَّةُ تَحْكي كَيْفَ حَصَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلخَفِيُّ عَلى بَعْضِ ٱلثِّيابِ ، وَ كَيْفَ كانَ يَحْصُلُ عَلى ٱلطَّعامِ وَ ٱلشَّرابِ مَتى يَسْتَطيعُ ، وَ كَيْفَ كانَ يُهَيِّئُ لِنَفْسِهِ ٱلمَأْوى وَ ٱلفِراشَ ٱلَّذي يَنامُ عَلَيْهِ حينَ يَشاءُ ، حَتّى ٱنْتَهى أَخيرًا إلى أَيْبِنْغ .

الفَصْلُ ٱلتّاسِعَ عَشَرَ

الـخُطَّةُ ٱلَّتي فَشِلَتْ

تَساءَلَ كِمْب وَهُوَ يُطِلُّ مِنَ ٱلنّافِذَةِ : « وَٱلآنَ ماذا سَنَفْعَلُ ؟ » وَتَحَرَّكَ مُقْتَرِبًا مِنْ ضَيْفِهِ حَتّى يَحولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَةِ ٱلرِّجالِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّذينَ يَرْتَقونَ ٱلتَّلَّ في خُطًى بَطيئَةٍ كَما بَدا لِكِمْب .

« ماذا كُنْتَ تَنْوي أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَما جِئْتَ إلى ميناءِ بِرْدُوك ؟ هَلْ كانَ في ذِهْنِكَ خُطَّةٌ ؟ »

كُنْتُ أَنْوي أَنْ أُغادِرَ ٱلبِلادَ ، وَلٰكِنّي عَدَلْتُ عَنْ خُطَّتي عِنْدَما رَأَيْتُكَ . وَكُنْتُ أُفَكِّرُ في أَنْ أَمْضِيَ إلى ٱلـجَنوبِ لأَنَّ ٱلطَّقْسَ حارٌّ ، خاصَّةً وَقَدْ أَصْبَحَ سِرّي مَعْروفًا ، وَأَخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ مُتَلَفِّعٍ يَسْتُرُ وَجْهَهُ . إنَّ لَدَيْكُمْ هُنا بَواخِرَ تُبْحِرُ إلى فَرَنْسا ، وَكانَتْ فِكْرَتي أَنْ أَرْكَبَ إحْدى هٰذِهِ ٱلبَواخِرِ ، ثُمَّ أُسافِرَ بِٱلقِطارِ إلى إسْبانْيا أَوْ إلى ٱلـجَزائِرِ ، وَلَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ عَسيرًا . وَهُناكَ يَسْتَطيعُ ٱلـمَرْءُ أَنْ يَعيشَ

وَأَنْ يَقومَ بِما يَشاءُ مِنْ أَعْمالٍ حَتّى وَلَوْ كانَ خَفِيًّا . وَقَدْ كُنْتُ أَتَّخِذُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْأَفاقِ صُنْدوقًا أَحْتَفِظُ فيهِ بِنُقودي وَحَمّالًا لِلَوازِمي ، حَتّى أُقَرِّرَ كَيْفَ أُرَتِّبُ إِرْسالَ كُتُبي وَلَوازِمي إِلى ٱلْمَكانِ ٱلَّذي سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ . »

« هٰذا مَفْهومٌ . »

« وَعِنْدَئِذٍ حاوَلَ أَنْ يَسْرِقَني ! لَقَدْ أَخْفى كُتُبي يا كِمْب ! لَقَدْ أَخْفى كُتُبي ! لَوْ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إِلى مَكانِهِ فَسَوْفَ . . . »

« أَوْلى بِكَ أَنْ تَسْتَرِدَّ كُتُبَكَ مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . »

« لٰكِنْ أَيْنَ هُوَ؟ أَ تَعْرِفُ مَكانَهُ ؟ »

« إِنَّهُ في مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، سَجينًا ـ بِناءً عَلى رَغْبَتِهِ ـ في غُرْفَةٍ مَنيعَةٍ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْخَفِيُّ : « الفَأْرُ ٱلْجَبانُ »

« هٰذا طَبْعًا يُعَرْقِلُ خُطَطَكَ إِلى حَدٍّ ما . »

« يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هٰذِهِ ٱلْكُتُبَ ، فَإِنَّها كُتُبٌ ضَرورِيَّةٌ . »

قالَ كِمْب مُتَوَتِّرًا ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامٍ في ٱلْخارِجِ : « بِكُلِّ تَأْكيدٍ ، بِكُلِّ تَأْكيدٍ يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هٰذِهِ ٱلْكُتُبَ . وَٱلْأَمْرُ عَلى أَيَّةِ

حالٍ لَنْ يَكونَ عَسيرًا ما دامَ لَنْ يَعْرِفَ أَنَّها مَطْلوبَةٌ لَكَ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ وَهُوَ غارِقٌ في ٱلتَّفْكيرِ : « تمامًا . »

وَحاوَلَ كِمْب أَنْ يُفَكِّرَ في شَيْءٍآخَرَ يَجْعَلُ بِهِ ٱلـحَديثَ مُتَّصِلاً ، وَلٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ مَضى مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ يَقولُ : « إنَّ دُخــولِـيَ بَيْتَكَ ياكِمْب غَيَّرَ جَميعَ خُطَطي . إنَّكَ رَجُلٌ تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْهَمَ وَ تُقَدِّرَ مَوْقِفي . إنَّكَ عالِـمٌ ، وَ طَبْعًا لَنْ تُـخْبِرَ أَحَدًا بِوُجودِيَ هُنا ؟ »

« لَـنْ أُخْبِرَ مَـخْلوقًا بِذٰلِكَ . »

« إذا كانَ لا بُدَّ لي أَنْ أَسْتَفيدَ مِنْ كَوْني رَجُلاً خَفِيًّا ، فَيَجِبُ أَنْ أَبْدَأَ بِٱلقَتْلِ . »

رَدَّدَ كِمْب : « القَتْلُ ؟ إنّي مُصْغٍ إلى خُطَّتِكَ ، وَلٰكِنّي لا أُوافِقُكَ عَلَيْها . لِـماذا ٱلقَتْلُ ؟ »

يَتَلَخَّصُ ٱلـمَوْضوعُ في أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ ـ كَما نَعْرِفُ ـ أَنَّ ثَمَّةَ رَجُلاً خَفِيًّا . وَهٰذا ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يا كِمْب يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ عَمَلَهُ بِأَنْ يَحْكُمَ بِٱلإرْهابِ . نَعَمْ ، وَهٰذا ما أَعْنيهِ : ٱلـحُكْمُ بِٱلإرْهابِ . يَجِبُ أَنْ يَسْتَوْلِـيَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ عَلى بَلْدَةٍ مِثْلِ بَلْدَتِكُمْ بِرْدُوك ، وَيُشيعَ فيها

ٱلرُّعْبَ وَٱلفَزَعَ . يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْدِرَ ٱلأَوامِرَ ، وَ يُمْكِنُهُ ذٰلِكَ بِوَسائِلَ عَديدَةٍ . وَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَعْصي أَوامِرَهُ ، وَ كُلَّ مَنْ يُعارِضُهُ . »

قالَ كِمْب : « حَقًّا ! ؟ » وَلَـمْ يَكُنْ يُصْغي إِلى حَديثِ غرِيفِين ، وَإِنَّما إِلى صَريرِ بابِ ٱلبَيْتِ ٱلأَمامِيِّ وَهُوَ يُفْتَحُ وَ يُغْلَقُ .

وَسَمِعَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ أَيْضًا هٰذا ٱلصَّريرَ ، وَقالَ : « أَنْصِتْ ! ما ٱلَّذي يَجْري في ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ ؟ »

أَجابَ كِمْب « لا شَيْءَ » ثُمَّ أَخَذَ فَجْأَةً يَتَكَلَّـمُ بِصَوْتٍ عالٍ وَبِسُرْعَةٍ ، فَقالَ : « إِنَّني لا أُوافِقُكَ يا غرِيفِين عَلى هٰذا . اِفْهَمْني ؛ فَأَنا لا أُوافِقُ عَلى هٰذا . لِـماذا تُريدُ أَنْ تَبْقى وَحيدًا ؟ لِـمَ لا تُكاشِفُ ٱلنّاسَ جَميعًا بِٱلأَمْرِ ؟ أَ لَيْسَ هٰذا هُوَ ٱلأَفْضَلَ ؟ إِنَّكَ عِنْدَئِذٍ سَتَجِدُ ٱلآلافَ مِنَ ٱلنّاسِ يُساعِدونَكَ وَيَشُدّونَ أَزْرَكَ . »

وَرَفَعَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَدَهُ قائِلًا : « ثَمَّةَ أَقْدامٌ تَصْعَدُ ٱلسُّلَّـمَ . »

قالَ كِمْب : « هُراءٌ ! »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ : « سَنَرى . » وَمَضى إِلى ٱلبابِ وَ أَرْهَفَ سَمْعَهُ .

عِنْدَئِذٍ تَلاحَقَتِ ٱلأَحْداثُ بِسُرْعَةٍ شَديدَةٍ ، فَفَجْأَةً ٱنْفَتَحَتِ ٱلـمَلابِسُ وَجَلَسَتْ ، وَشَرَعَ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ يَخْلَعُ ثِيابَهُ ، وَمَضى كِمْب إلى بابِ ٱلـحُجْرَةِ وَفَتَحَهُ .

وَما إنْ فُتِحَ ٱلبابُ حَتّى سُمِعَ وَقْعُ خُطُواتٍ مُسْرِعَةٍ وَأَصْواتٌ تَتَرَدَّدُ في ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ .

وَبِحَرَكَةٍ سَريعَةٍ دَفَعَ كِمْب ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ إلى ٱلوَراءِ ، وَ قَفَزَ جانِبًا ، وَأَغْلَقَ ٱلبابَ وَراءَهُ بِعُنْفٍ . وَكانَ ٱلـمِفْتاحُ مُعَدًّا فيهِ مِنَ ٱلخارِجِ ، وَكانَ مِنَ ٱلـمُمْكِنِ أَنْ يَجِدَ غريفين نَفْسَهُ في ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ مَـحْبوسًا في ٱلغُرْفَةِ لَوْلا أَنَّ أَمْرًا صَغيرًا حَدَثَ : فَقَدْ وَقَعَ ٱلـمِفْتاحُ عَلى ٱلأَرْضِ مُـحْدِثًا صَوْتًا عالِيًا .

وَشَحَبَ وَجْهُ كِمْب ، وَ حاوَلَ أَنْ يَشُدَّ مِقْبَضَ ٱلبابِ بِكِلْتا يَدَيْهِ ، وَمَرَّتْ لَـحْظَةٌ وَ هُوَ يَجْذِبُ ٱلـمِقْبَضَ بِشِدَّةٍ ثُمَّ ٱنْفَتَحَ ٱلبابُ مِقْدارَ خَـمْسَةَ عَشَرَ سَنْتيمِتْرًا ، وَلٰكِنَّهُ ٱسْتَطاعَ أَنْ يُغْلِقَهُ ثانِيَةً ، وَفي ٱلـمَرَّةِ ٱلثّانِيَةِ فُتِحَ ٱلبابُ قُرابَةَ ثَلاثينَ سَنْتيمِتْرًا ، وَظَهَرَتِ ٱلـمَلابِسُ في فُرْجَةِ ٱلبابِ . وَأَمْسَكَتْ أَصابِعُ خَفِيَّةٌ بِعُنُقِ كِمْب تَخْنُقُهُ ، فَتَرَكَ ٱلـمِقْبَضَ لِيُدافِعَ عَنْ نَفْسِهِ . وَدُفِعَ إلى ٱلوَراءِ ، وَ أُلْقِيَ بِعُنْفٍ عَلى ٱلأَرْضِ .

وَ في مُنْتَصَفِ ٱلسُّلَّـمِ كانَ ٱلعَقيدُ آدي ـ رَئيسُ شُرْطَةِ بِرْدُوك ـ صاعِدًا . وَأَخَذَ يُحَـمْلِقُ إلى كِمْب ٱلَّذي ظَهَرَ فَجْأَةً ، وَ وَراءَهُ ٱلـمَلابِسُ ٱلَّتي كانَتْ تَتَراقَصُ في ٱلـهَواءِ . ثُمَّ رَأى كِمْب يَتَهاوى عَلى ٱلأَرْضِ ،



وَيُجاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلى قَدَمَيْهِ ، وَشاهَدَهُ يَنْدَفِعُ إلى ٱلأَمامِ ثُمَّ يَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرى .

وَفَجْأَةً أَحَسَّ بِضَرْبَةٍ مِنْ لا شَيْءٍ! وَبَدا لَهُ أَنَّ جِسْمًا ثَقيلاً ٱنْقَضَّ عَلَيْهِ ، وَأَلْفى نَفْسَهُ يَسْقُطُ عَلى ٱلسُّلَّمِ . وَوَطِئَتْ ظَهْرَهُ قَدَمٌ خَفِيَّةٌ ، وَسَمِعَ عَلى ٱلسُّلَّمِ وَقْعَ أَقْدامٍ لِشَبَحٍ لا يُرى ، ثُمَّ سَمِعَ ٱلشُّرْطِيَّيْنِ ٱللَّذَيْنِ في ٱلبَهْوِ يَصْرُخانِ وَ يَجْرِيانِ ، وَ أَعْقَبَ ذٰلِكَ صَوْتُ ٱلبابِ ٱلخارِجِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ .

وَٱعْتَدَلَ رَئيسُ ٱلشُّرْطَةِ جالِسًا عَلى ٱلسُّلَّمِ ، وَ رَأى كِمْبَ نازِلاً ، وَوَجْهُهُ شاحِبٌ يَنْزِفُ دَمًا .

وَصاحَ كِمْب : «رَبّاهُ ! لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعَهُ ! لَقَدْ هَرَبَ ! »

الفَصْلُ ٱلعِشْرونَ

مُطارَدَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ

اِسْتَغْرَقَ كِمْب بَعْضَ ٱلوَقْتِ لِكَيْ يَشْرَحَ لِلْعَقيدِ آدي ما حَدَثَ ، فَقالَ : « إِنَّهُ مَـجْنونٌ ! إِنَّهُ لا يُفَكِّرُ إِلّا في مَصْلَـحَتِهِ ٱلشَّخْصِيَّةِ وَفي سَلامَتِهِ . وَقَدِ ٱسْتَمَعْتُ هٰذا ٱلصَّباحَ إِلى قِصَّةٍ شَنيعَةٍ مَليئَةٍ بِٱلطُّموحِ ٱلشَّديدِ ٱلقَسْوَةِ ، لَقَدِ ٱعْتَدى عَلى بَعْضِ ٱلرِّجالِ فَأَصابَهُمْ بِجُروحٍ ، وَهُوَ يَعْتَزِمُ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ما لَـمْ نَمْنَعْهُ . إِنَّهُ يُخَطِّطُ لِكَيْ يُسَيْطِرَ عَلى ٱلبَلْدَةِ بِٱلإِرْهابِ . لا شَيْءَ يُمْكِنُ أَنْ يوقِفَهُ. إِنَّهُ ٱلآنَ حُرٌّ طَليقٌ في ٱلخارِجِ ، وَهُوَ مَـجْنونٌ ! »

قالَ آدي : « يَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ ، وَهٰذا أَمْرٌ لا شَكَّ فيهِ . »

صاحَ كِمْب : « وَلٰكِنْ كَيْفَ ؟ » وَفَجْأَةً ٱزْدَحَـمَتْ بِرَأْسِهِ ٱلأَفْكارُ ، فَقالَ :

« يَجِبُ أَنْ تَبْدَأوا فَوْرًا في مُطارَدَتِهِ . . . يَجِبُ أَنْ تَدْعوا جَميعَ

آلنّاسِ إلى آلعَمَلِ . يَجِبُ أَن تَـمْنَعوهُ مِنْ مُغادَرَةِ هٰذا آلـمَكانِ . إنَّهُ إذا تَمكَّنَ مِنَ آلـهَرَبِ فَسَوْفَ يَرْتادُ آلبِلادَ ، وَيَقْتُلُ أَنّى سارَ . وَآلشَّيْءُ آلوَحيدُ آلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ في هٰذِهِ آلـمِنْطَقَةِ هُوَ رَغْبَتُهُ في آسْتِرْدادِ كُتُبٍ مُعَيَّنَةٍ لَها عِنْدَهُ شَأْنٌ كَبيرٌ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْها . إنَّ لَدَيْكُمْ في مَرْكَزِ آلشُّرْطَةِ رَجُلاً يُدْعى مارْڤِل . »

قالَ آدي : « أَعْرِفُ ذٰلِكَ . أَعْرِفُ ذٰلِكَ . هٰذِهِ آلكُتُبُ . . . نَعَمْ ، وَلٰكِنَّ آلرَّجُلَ آلـخَفِيَّ . . . »

قالَ كِمْب مُقاطِعًا : « يَقولُ إنَّهُ لَـمْ يَسْتَرِدَّ كُتُبَهُ بَعْدُ ، وَلٰكِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّها لَدى مارْڤِل . وَآلآنَ أَصْغِ إلَيَّ : يَجِبُ أَنْ تَـمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَنامَ . يَجِبُ أَنْ تَكونَ آلبَلْدَةُ مُتَيَقِّظَةً لَهُ لَيْلَ نَهارَ . يَجِبُ أَنْ توضَعَ كافَّةُ آلأَطْعِمَةِ في مَكانٍ مُغْلَقٍ حَتّى يُضْطَرَّ إلى أَنْ يَقْتَحِمَ بَيْتًا أَوْ مَتْجَرًا لِلْـحُصولِ عَلَيْها . وَآلبُيوتُ . . . جَميعُ آلبُيوتِ في أَيِّ مَكانٍ يَجِبُ أَنْ توصَدَ دونَهُ . وَآلـمِنْطَقَةُ كُلُّها في نِطاقِ ثَلاثينَ كيلومِتْرًا حَوْلَ ميناءِ بِرْدُوك يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ في مُطارَدَتِهِ ، وَيَجِبُ أَلّا تَكُفَّ عَنْ مُطارَدَتِهِ . وَأُؤَكِّدُ لَكَ يا آدي أَنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ ، وَ ما لَـمْ نُـمْسِكْ بِهِ فَإنَّ آلتَّفْكيرَ فيما سَيَحْدُثُ يُثيرُ آلذُّعْرَ في آلنَّفْسِ »

قالَ ٱلعَقيدُ آدي : « وَٱلآنَ هَيّا بِنا ، وَيُمْكِنُكَ أَثْناءَ سَيْرِنا أَنْ تُحَدِّثَني عَمّا يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَهُ . »

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ كانا يَهْبِطانِ ٱلسُّلَّمَ وَوَجَدا ٱلبابَ ٱلأَمامِيَّ مَفْتوحًا ، وَٱلشُّرْطِيَّ ٱلواقِفَ عِنْدَهُ يُحَمْلِقُ إِلى ٱلهَواءِ ، وَقالَ أَحَدُ ٱلواقِفينَ : « لَقَدْ هَرَبَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلعَقيدُ آدي : « يَجِبُ أَنْ نُخْطِرَ مَرْكَزَ ٱلشُّرْطَةِ حالاً بِما حَدَثَ ، فَعَلى أَحَدِكُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلى ٱلمَرْكَزِ لِلإِبْلاغِ ثُمَّ يَلْحَقَ بِنا بِسُرْعَةٍ . وَٱلآنَ يا كِمْب ، ماذا لَدَيْكَ سِوى ما ذَكَرْتَ ؟ »

قالَ كِمْب : « الكِلابُ . يَجِبُ إِحْضارُ ٱلكِلابِ . إِنَّها لَنْ تَراهُ طَبْعًا ، وَلٰكِنَّها سَتَشُمُّ رائِحَتَهُ . أَحْضِرِ ٱلكِلابَ . »

أَجابَ ٱلعَقيدُ آدي : « لَيْسَ لَدَيْنا في ٱلمَرْكَزِ كِلابٌ صالِحَةٌ لِهٰذا ٱلغَرَضِ ، وَلٰكِنَّ ضُبّاطَ سِجْنِ هَلْستيد يَعْرِفونَ رَجُلاً لَدَيْهِ كِلابٌ مُدَرَّبَةٌ عَلى ٱقْتِفاءِ ٱلآثارِ . وَماذا لَدَيْكَ أَيْضًا بَعْدَ ٱلكِلابِ ؟ »

قالَ كِمْب : « تَذَكَّرْ أَنَّ ٱلطَّعامَ يَظْهَرُ أَمامَ ٱلعَيْنِ ، فَبَعْدَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ ٱلأَكْلِ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرى ٱلطَّعامَ في مَعِدَتِهِ جَلِيًّا ؛ وَلِذٰلِكَ يَعْمِدُ إِلى ٱلاخْتِباءِ ؛ وَلِذا يَجِبُ أَنْ تُكَثِّفوا ٱلبَحْثَ في كُلِّ رُكْنٍ مِنَ ٱلأَرْكانِ .

وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تُخْفوا جَميعَ ٱلأَسْلِحَةِ ، وَأَيَّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ سِلاحًا . وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يُمْسِكَ بِهٰذِهِ ٱلأَشْياءِ طَويلًا ، لأَنَّها تَكْشِفُ مَكانَهُ . وَيَجِبُ أَنْ تُخْفوا أَيَّ شَيْءٍ يَسْتَطيعُ أَنْ يَلْتَقِطَهُ لِيَضْرِبَ بِهِ ٱلنّاسَ . »

قالَ ٱلعَقيدُ : « حَسَنًا . . . سَوْفَ نَقْتَنِصُهُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

قالَ كِمْب : « وَٱلطُّرُقُ . . . » وَبَدا عَلَيْهِ ٱلتَّرَدُّدُ .

وَسَأَلَهُ آدي : « ماذا تُريدُ أَنْ تَقولَ ؟ »

أَجابَ كِمْب : « يَجِبُ أَنْ نَفْرِشَها بِزُجاجٍ مَكْسورٍ . . . إِنّي أَعْرِفُ أَنَّ في فِكْرَتي قَسْوَةً ، وَلٰكِنْ تَخَيَّلْ ما يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ . »

وَتَنَفَّسَ آدي بِعُمْقٍ مِنْ بَيْنِ أَسْنانِهِ ، وَقالَ : « إِنَّها حَقًّا قَسْوَةٌ أُفَضِّلُ عَدَمَ ٱسْتِعْمالِها ، وَمَعَ ذٰلِكَ سَأُعِدُّ قَدْرًا مِنَ ٱلزُّجاجِ ٱلمَكْسورِ؛ فَإِذا قُتِلَ فَسَيَكونُ قَدْ نالَ ما يَسْتَحِقُّ . »

قالَ كِمْب : « أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ ٱلرَّجُلَ مَجْنونٌ ، وَسَوْفَ يُقْدِمُ عَلى عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ وَيَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ بِأَيَّةِ وَسيلَةٍ مُمْكِنَةٍ ، فَقَدْ قَطَعَ نَفْسَهُ عَنِ ٱلجِنْسِ ٱلبَشَرِيِّ . »

الفَصْلُ الحادي وَآلعِشْرونَ
مَقْتَلُ آلسَّيِّدِ وِكْستيد

يَبْدو أَنَّ آلرَّجُلَ آلخَفِيَّ آنْطَلَقَ مِنْ بَيْتِ كِمْب وَ قَدِ آسْتَبَدَّ بِهِ غَضَبٌ جامِحٌ ، فَقَدْ لَقِيَ في طَريقِهِ طِفْلًا يَلْعَبُ بِجانِبِ بابِ حَديقَةِ بَيْتِ كِمْب فَأَمْسَكَهُ وَ قَذَفَ بِهِ إِلى جانِبِ آلطَّريقِ بِعُنْفٍ ؛ فَآنْكَسَرَتْ ساقُهُ . وَتَلاشَتْ آثارُ آلرَّجُلِ آلخَفِيِّ بَعْدَ ذٰلِكَ بِضْعَ ساعاتٍ دونَ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ ، وَما آلَّذي فَعَلَ . وَلٰكِنْ بِآلإِمْكانِ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ مُنْطَلِقًا يَعْدو ، في ذٰلِكَ آلصَّباحِ آلقائِظِ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ يونْيه ، مُتَسَلِّقًا آلتَّلَّ ، ثُمَّ مُتَّجِهًا إِلى آلأَرْضِ آلفَضاءِ آلواقِعَةِ بَعْدَ ميناءِ بِرْدُوك ، ثُمَّ يَخْتَفي في آلنِّهايَةِ في آلغابَةِ .

هُناكَ آخْتَفى ساعَتَيْنِ ، عَلى حينِ كانَ حَشْدٌ مُتَزايِدٌ مِنَ آلرِّجالِ يُطارِدُهُ بِآلاسْتِعانَةِ بِآلكِلابِ عَبْرَ آلمِنْطَقَةِ ، وَ يُفَتِّشُ عَنْهُ في كُلِّ آتِّجاهٍ . وَفي آلصَّباحِ كانَ آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ لا يَزالُ رِوايَةً تُرَدِّدُها آلأَلْسُنُ ، وَرُعْبًا

يَسْتَبِدُّ بِٱلقُلوبِ . أمّا بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ـ وَ ٱلفَضْلُ في هٰذا لِـلإعْلانِ ٱلشَّديدِ ٱلـلَّهْجَةِ ٱلَّذي أذاعَهُ كِمْب ـ فَقَدْ أيْقَنَ ٱلنّاسُ أنَّهُ عَدُوٌّ حَقيقِيٌّ يَجِبُ ٱقْتِناصُهُ وَ ٱلقَبْضُ عَلَيْهِ بِٱلقُوَّةِ . وَأَخَذَ ٱلنّاسُ يُنَظِّمونَ أنْفُسَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

وَ حَتّى ٱلسّاعَةِ ٱلثّانِيَةِ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ، كانَ بِـمَقْدورِهِ ٱلهَرَبُ مِنَ ٱلـمِنْطَقَةِ بِأنْ يَرْكَبَ قِطارًا . أمّا بَعْدَ ٱلثّانِيَةِ فَقَدْ أصْبَحَ ٱلأمْرُ مُسْتَحيلاً ؛ فَجَـميعُ قِطاراتِ ٱلرُّكّابِ في ٱلـمِنْطَقَةِ كانَتْ مُغْلَقَةَ ٱلأبْوابِ بِٱلأقْفالِ ، أمّا قِطاراتُ ٱلبِضاعَةِ فَقَدْ تَوَقَّفَتْ كُلُّها تَقْريبًا عَنِ ٱلسَّيْرِ .

وَ في دائِرَةٍ نِطاقُها حَوالى ثَلاثينَ كيلومِتْرًا حَوْلَ ميناءِ بِرْدُوك ، كانَ ٱلرِّجالُ ٱلـمُسَلَّـحونَ بِٱلبَنادِقِ وَ ٱلعِصِـيِّ يَنْطَلِقونَ في جَماعاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ ثَلاثَةِ رِجالٍ أوْ أرْبَعَةٍ تَصْحَبُهُمُ ٱلكِلابُ ، يُفَتِّشونَ ٱلطُّرُقَ وَ ٱلـحُقولَ .

أمّا رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ مِنْ راكِبي ٱلـخَيْلِ فَمَضَوْا يَطوفونَ بِطُرُقِ ٱلـمِنْطَقَةِ ، وَيَتَوَقَّفونَ عِنْدَ كُلِّ بَيْتٍ ، وَ يَطْلُبونَ مِنْ أصْحابِهِ أنْ يُغْلِقوا أبْوابَهُمْ ، وَ ألّا يُغادِروا دورَهُمْ إلّا وَهُمْ مُسَلَّحونَ . وَ قَبْلَ ٱلسّاعَةِ ٱلثّالِثَةِ كانَتْ جَميعُ ٱلـمَدارِسِ قَدْ أغْلَقَتْ أبْوابَها وَ أسْرَعَ تَلاميذُها ٱلخائِفونَ إلى مَنازِلِـهِمْ في جَماعاتٍ مُتَماسِكَةٍ . وَ قَدْ عُلِّقَ إعْلانُ كِمْب في كُلِّ مَكانٍ لِيُوَضِّحَ لِـلنّاسِ ما يَجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَعْمَـلوهُ بِأنْ يَحْرِموا ٱلرَّجُـلَ ٱلـخَفِيَّ



مِنَ ٱلأَكْلِ وَ ٱلنَّوْمِ وَأَنْ يَتَنَبَّهوا دائِمًا لأَيَّةِ عَلامَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقَبْلَ أَنْ يَسودَ ٱلظَّلامُ كانَتِ ٱلبِلادُ كُلُّها عَلى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ . وَقَبْلَ حُلولِ ٱللَّيْلِ جاءَتْ أَنْباءٌ تَناقَلَتْها ٱلأَلْسِنَةُ تَرْوي حِكايَةَ مَقْتَلِ ٱلسَّيِّدِ وِكْستيد .

فَفي مَكانٍ ما عَلى ٱلطَّريقِ لا بُدَّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ٱلْتَقَطَ قَضيبًا مِنَ ٱلحَديدِ ، وَفي ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ كانَ ٱلسَّيِّدُ وِكْستيد راجِعًا إِلى بَيْتِهِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَ هُوَ رَجُلٌ مُسالِمٌ لا يُؤْذي أَحَدًا . وَما مِنْ شَكٍّ في أَنَّهُ رَأى قَضيبًا مِنَ ٱلحَديدِ يَمْشي وَحْدَهُ مُعَلَّقًا في ٱلهَواءِ ، فَأَخَذَ يَتَتَبَّعُهُ . وَ يَبْدو أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلخَفِيَّ ظَنَّ أَنَّ وِكْستيد ٱلهادِئَ ٱلضَّئيلَ ٱلجِسْمِ هُوَ أَحَدُ

مُطارِدِيهِ ، فَأَوْقَفَهُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، وَ كَسَرَ ذِراعَهُ ، وَ طَرَحَهُ أَرْضًا ، وَهَشَّمَ رَأْسَهُ .

وَثَمَّةَ حِكايَةٌ أُخرى عَنْ صَوْتٍ يَضْحَكُ وَ يَبْكي ، سَمِعَهُ بَعْضُ آلرِّجالِ في أَحَدِ آلـحُقولِ . وَ أَخَذَ آلصَّوْتُ يَتَرَدَّدُ في أَرْجاءِ آلحَقْلِ ، ثُمَّ تَلاشى . وَلا بُدَّ أَنَّ آلرَّجُـلَ آلـخَفِيَّ عَرَفَ كَيْفَ آسْتَفادَ كِمْب مِنَ آلقِصَّةِ آلَّتي رَواها لَهُ ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ رَأى جَميعَ أَبْوابِ آلبُيوتِ مُغْلَقَةً ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ رَأى جَماعاتِ آلرِّجالِ تَصْحَبُهُمُ آلكِلابُ يُراقِبونَ وَ يَتَرَبَّصونَ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ رَجُـلٌ مُطارَدٌ . وَ لا بُدَّ أَنَّهُ آسْتَطاعَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَنامَ في آلـلَّيْلِ ، فَفي صَباحِ آليَوْمِ آلتّالي كانَ آلرَّجُـلُ آلـخَفِيُّ قَدِ آسْتَعادَ قُوَّتَهُ وَرِباطَةَ جَأْشِهِ ، وَآسْتَعَدَّ لِـمُواجَهَةِ آلعالَـمِ .

الفَصْلُ آلثّاني وَآلعِشْرونَ

مُهاجَمَةُ مَنْزِل كِمْب

كانَ كِمْب يَقْرَأُ رِسالَةً مَكْتوبَةً بِقَلَمِ آلرَّصاصِ عَلى رُقْعَةٍ قَذِرَةٍ مِنَ آلوَرَقِ ، وَقَدْ جاءَ فيها : « لَقَدْ كُنْتَ ماهِرًا لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنْ ما آلَّذي جَنَيْتَهُ بِمَهارَتِكَ ؟ لا أَدْري ! إنَّكَ ضِدّي ! وَقَدْ أَمْضَيْتَ يَوْمًا بِأَكْمَلِهِ تُطارِدُني ، وَحاوَلْتَ أَنْ تَسْلُبَنِي راحَتي لَيْلَةً ، وَلٰكِنّي آسْتَطَعْتُ أَنْ آكُلَ رَغْمًا عَنْكَ ، وَآسْتَطَعْتُ أَنْ أَنامَ رَغْمًا عَنْكَ . إنَّنا آلآنَ في آلبِدايَةِ . نَعَمْ ، نَحْنُ في آلبِدايَةِ . وَلا شَيْءَ يُمْكِنُ عَمَلُهُ إلّا الإرْهابَ . وَهٰذا هُوَ أَوَّلُ أَيّامِ آلإرْهابِ . لَمْ يَعُدْ ميناءُ بِرْدُوك خاضِعًا لِلدَّوْلَةِ ؛ فَبَلِّغْ هٰذا لِرِجالِ شُرْطَتِكَ ، بَلْ لِجَميعِ آلشُّرْطَةِ ، أَنَّهُ خاضِعٌ لي ـ لِلإرْهابِ ! أَنا آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ آلأَوَّلُ ! وَ سَوْفَ نَبْدَأُ بِقَتْلِ رَجُلٍ يُدْعى كِمْب . إنَّهُ سَيَموتُ آليَوْمَ . وَلَعَلَّهُ سَيَخْتَبِئُ في مَكانٍ بَعيدٍ ، وَقَدْ يُحيطُ نَفْسَهُ بِآلحُرّاسِ ، وَلٰكِنَّ آلمَوْتَ . . . آلمَوْتَ آلَّذي لايُرى ـ آتٍ ! لَقَدْ بَدَأَتِ

ٱللُّعْبَةُ . . . لَقَدْ بَدَأَ ٱلـمَوْتُ . لَوْ أَنَّكُمْ ساعَدْتُموهُ ياأَفرادَ شَعْبي ، فَسَوْفَ يَحيقُ بِكُمُ ٱلـمَوْتُ أَيْضًا . ٱليَوْمَ سَيَموتُ كِمْب . »

قَرَأَ كِمْب ٱلرِّسالَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَقالَ : « هٰذا هُوَ صَوْتُهُ ! وَهُوَ يَعْني ما يَقولُ . »

وَنَهَضَ مُتَثاقِلًا دونَ أَنْ يُتِمَّ غَداءَهُ ، فَقَدْ وَصَلَتْهُ ٱلرِّسالَةُ فِى بَريدِ ٱلسّاعَةِ ٱلواحِدَةِ . وَذَهَبَ إِلى حُـجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَدَقَّ ٱلـجَرَسَ لِيَسْتَدْعِيَ خادِمَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تَطوفَ بِٱلبَيْتِ في ٱلحالِ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ ٱلنَّوافِذَ كُلَّها مُغْلَقَةٌ . وَقامَ بِغَلْقِ نافِذَةِ مَكْتَبِهِ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ تَناوَلَ مُسَدَّسًا صَغيرًا مِنْ دُرْجٍ مُغْلَقٍ في مَكْتَبِهِ ، وَفَحَصَهُ بِعِنايَةٍ ، وَ وَضَعَهُ في جَيْبِهِ . وَكَتَبَ مُذَكِّراتٍ قَصيرَةً ، وَكانَتْ إِحْداها لِلْعَقيدِ آدي ، وَسَلَّـمَها كُلَّها لِـخـادِمَتِهِ ، وَقالَ لَها : « لَيْسَ ثَمَّةَ خَطَرٌ يَتَهَدَّدُكِ . » وَٱسْتَغْرَقَ في ٱلتَّفْكيرِ قَليلًا ، ثُمَّ عادَ إِلى تَناوُلِ غَدائِهِ .

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ خَبَطَ ٱلمائِدَةَ بِقَبْضَتِهِ وَقالَ : « سَنَظْفَرُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ سَيَتَمادى في أَفْعالِهِ ! »

وَصَعِدَ إِلى مِـخْدَعِهِ ، وَفي طَريقِهِ أَخَذَ يُغْلِقُ كُلَّ بابٍ وَراءَهُ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إِنَّها لُعْبَةٌ ! لُعْبَةٌ غَريبَةٌ ـ وَ لٰكِنَّني سَأَفوزُ يا سَيِّدُ غريفين ! »

وَوَقَفَ بِجِوارِ ٱلنّافِذَةِ يَتَطَلَّعُ إلى سَفْحِ ٱلتَّلِّ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « لا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ عَلى ٱلطَّعامِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلٰكِنْ أَ تُراهُ حَقًّا نامَ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ ؟ هَلْ نامَ في ٱلعَراءِ ؟ لَيْتَ ٱلـجَوَّ يَنْقَلِبُ بارِدًا رَطْبًا بَدَلاً مِنْ هٰذا ٱلـحَرِّ ! لَعَلَّهُ ٱلآنَ يُراقِبُني ! »

وَدَنا مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَأَحَسَّ بِشَيْءٍ يَرْتَطِمُ بِٱلـجِدارِ فَوْقَها ، فَقالَ : « لَقَدْ بَدَأَتْ أَعْصابي تَتَوَتَّرُ . » وَلَـمْ يَقْتَرِبْ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ثانِيَةً إلّا بَعْدَ خَـمْسِ دَقائِقَ ، وَقالَ : « لا بُدَّ أَنَّ طائِرًا ٱصْطَدَمَ بِٱلـجِدارِ . »

وَسَمِعَ رَنينَ جَرَسِ ٱلبابِ ٱلأَمامِيِّ ؛ فَأَسْرَعَ يَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ ، وَأَزاحَ سِلْسِلَةَ ٱلبابِ ، ثُمَّ فَتَحَهُ ، دونَ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ . وَكانَ ٱلقادِمُ آدي ، وَقالَ مِنْ وَراءِ ٱلبابِ : « لَقَدْ هوجِـمَتْ خادِمَتُكَ يا كِمْب . »

فَصاحَ كِمْب مُنْدَهِشًا : « ما ٱلَّذي تَقولُهُ ؟ ! »

« لَقَدِ ٱسْتَوْلى عَلى مُذَكِّرَتِكَ ٱلَّتي كانَتْ مَعَها . . . إنَّهُ قَريبٌ جِدًّا مِنْ هٰذا ٱلـمَكانِ فَدَعْني أَدْخُلْ . »

وَفَتَحَ كِمْب ٱلبابَ قَليلاً ، فَدَخَلَ آدي ، وَوَقَفَ في ٱلبَهْوِ يُتابِعُ كِمْب بِبَصَرِهِ وَهُوَ يُغْلِقُ ٱلبابَ .

وَأَخَذَ كِمْب يَسُبُّ وَيَلْعَنُ ، ثُمَّ قالَ : « يالي مِنْ أَحْـمَقَ ! كانَ يَجِبُ

أَنْ أَتَوَقَّعَ هٰذا ؟ »

تَساءَلَ آدي : « ماذا تَعْني ؟ »

أجابَ كِمْب وَهُوَ يَتَّجِهُ بِزائِرِهِ إلى غُرْفَةِ آلْـمَكْتَبِ : « أُنْظُرْ ! » وَناوَلَ آدي آلرِّسالَةَ آلَّتي جاءَتْهُ مِنَ آلرَّجُلِ آلْـخَفِيِّ .

قَرَأَ آدي آلرِّسالَةَ ، ثُمَّ قالَ : « وَأَنْتَ . . . ؟ »

وَتَناهى إلى أَسْماعِهِما صَوْتُ نافِذَةٍ تَتَهَشَّمُ في آلطّابَقِ آلأَعْلى ، وَرَأى آدي طَرَفَ آلْـمُسَدَّسِ آلصَّغيرِ يَبْرُزُ مِنْ جَيْبِ كِمْب .

قالَ كِمْب : « إنَّها نافِذَةٌ في آلطّابَقِ آلأَعْلى . » وَأَسْرَعَ يَعْدو صاعِدًا وآدي وَراءَهُ . وَسَمِعا وَهُما لا يَزالانِ عَلى آلدَّرَجِ صَوْتَ نافِذَةٍ أُخْرى تَتَهَشَّمُ ، فَلَمّا وَصَلا إلى حُـجْرَةِ آلْـمَكْتَبِ وَجَدا مِنَ آلنَّوافِذِ آلثَّلاثِ نافِذَتَيْنِ مَكْسورَتَيْنِ ، وَ آلزُّجاجُ آلْـمُهَشَّمُ يُغَطّي آلأَرْضَ ، كَما رَأَيا حَـجَرًا كَبيرًا مُسْتَقِرًّا فَوْقَ آلْـمَكْتَبِ . وَوَقَفَ آلرَّجُلانِ في مَدْخَلِ آلْـحُجْرَةِ ، وَأَخَذَ كِمْب يَسُبُّ وَ يَلْعَنُ مَرَّةً أُخْرى ، وَفيما هُوَ يُرَدِّدُ آلسِّبابَ وَآللَّعَناتِ آنْكَسَرَتِ آلنّافِذَةُ آلثّالِثَةُ بِفَرْقَعَةٍ شَبيهَةٍ بِدَوِيِّ طَلْقٍ نارِيٍّ ، وَتَناثَرَتْ شَظايا آلزُّجاجِ آلْـمَكْسورِ في أَرْجاءِ آلْـحُـجْرَةِ .

وَتَساءَلَ آدي : « ما آلَّذي يَبْغيهِ مِنْ هٰذا ؟ »

أَجابَ كِمْب : « إنَّها آلبِدايَةُ . »

« أَثَمَّةَ وَسيلَةٌ يَتَسَلَّقُ بِها إلى هٰذا آلـمَكانِ ؟ »

قالَ كِمْب : « حَتّى آلقِطَّةُ لا تَسْتَطيعُ ذٰلِكَ . »

وَآنهالَتِ آلأَحْجارُ آلـمُتَطايِرَةُ إلى داخِلِ آلـحُجْرَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ بَدا وَكَأَنَّ شَخْصًا يَدُقُّ عَلى آلـمَصاريعِ آلـخَشَبِيَّةِ لِنَوافِذِ آلطّابَقِ آلأَرْضِيِّ . وَوَقَفَ آلرَّجُلانِ خارِجَ حُجْرَةِ آلـمَكْتَبِ لا يَدْرِيانِ ماذا يَفْعَلانِ .

قال آدي : « إنّي أَعْرِفُ ما يَنْبَغي عَمَلُهُ ! أَعْطِني عَصًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ عَلى شاكِلَتِها ، وَسَأَذْهَبُ إلى مَرْكَزِ آلشُّرْطَةِ ، وَأَعودُ بِآلرَّجُلِ صاحِبِ آلكِلابِ آلـمُدَرَّبَةِ عَلى آقْتِفاءِ آلآثارِ ، وَسَوْفَ تَعْثُرُ عَلَيْهِ . »

وَتَحَطَّمَتْ نافِذَةٌ أُخْرى .

وَسَأَلَ آدي : « أَلَيْسَ لَدَيْكَ مُسَدَّسٌ ؟ »

وَآمْتَدَّتْ يَدُ كِمْب إلى جَيْبِهِ ، ثُمَّ رَدَّها مُتَرَدِّدًا وَقالَ : « نَعَمْ ، لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ ، أَوْ عَلى آلأَقَلِّ لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ أَسْتَغْني عَنْهُ . »

قالَ آدي : « سَأُعيدُهُ إلَيْكَ ، وَأَنْتَ هُنا في أَمانٍ . »

وَناوَلَهُ كِمْب آلسِّلاحَ .

قالَ آدي : « الآنَ هَيّا بِنا إلى آلبابِ . »

وَبَيْنَما كانَ آلرَّجُلانِ واقِفَيْنِ في آلرَّدْهَةِ يَنْتَظِرانِ سَمِعا فَرْقَعَةَ إحْدى نَوافِذِ حُـجْرَةِ آلنَّوْمِ ، فَمَضى كِمْب إلى آلبابِ ، وَشَرَعَ يُديرُ آلـمِفْتاحَ في آلثُّقْبِ بِأَقْصى ما يَسْتَطيعُ مِنَ آلـهُدوءِ ، وَبَدا وَجْهُهُ أَكْثَرَ شُحوبًا مِنَ آلـمُعْتادِ .

قالَ : « يَجِبُ أَنْ تَتَقَدَّمَ بِلا تَرَدُّدٍ . »

وَبَعْدَ لَـحْظَةٍ كانَ آدي عَلى عَتَبَةِ آلبابِ وَ آلبابُ مُغْلَقٌ وَراءَهُ . وَلَبِثَ مَكانَهُ بُرْهَةً وَ هُوَ أَكْثَرُ آطْمِئْنانًا وَظَهْرُهُ مُسْتَنِدٌ إلى آلبابِ ، ثُمَّ هَبَطَ آلدَّرَجَ ، وَ آجْتازَ آلـحَديقَةَ ، وَحينَ أَوْشَكَ أَنْ يَصِلَ إلى آلبَوّابَةِ آلـخارِجِيَّةِ أَحَسَّ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ بِآلقُرْبِ مِنْهُ .

وَناداهُ صَوْتٌ قائِلًا : « قِفْ لَـحْظَةً ! » وَتَوَقَّفَ آدي عَنِ آلسَّيْرِ وَيَدُهُ عَلى آلـمُسَدَّسِ .

قالَ آدي : « ما آلَّذي تُريدُهُ ؟ »

أَجابَ آلصَّوْتُ : « عُدْ مِنْ فَضْلِكَ إلى آلبَيْتِ . »

قالَ آدي : « لا . » وَفَكَّرَ في أَنْ يُطْلِقَ رَصاصَةً في آتِّجاهِ آلصَّوْتِ .

وَسَأَلَهُ آلصَّوْتُ : « ما آلَّذي تَنْوي أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ »

أَجابَ آدي : « ما أَفْعَلُهُ مِنْ شَأْني وَحْدي . »

وَلَـمْ يَكَدْ يُتِمُّ هٰذِهِ آلكَلِماتِ حَتّى طَوَّقَتْ عُنُقَهُ ذِراعٌ ، وَشَعَرَ بِرُكْبَةٍ تَسْتَقِرُّ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَجُذِبَ رَأْسُهُ إِلى آلوَراءِ فَأَطْلَقَ آلنّارَ بِآهْتِياجٍ . وَفي آلـلَّحْظَةِ آلتّالِيَةِ تَلَقّى لَطْمَةً عَلى فَكِّهِ ، وَآنْتُزِعَ آلـمُسَدَّسُ مِنْ يَدِهِ ، فَحاوَلَ أَنْ يُقاوِمَ وَلٰكِنَّهُ طُرِحَ أَرْضًا عَلى ظَهْرِهِ ، وَصاحَ غاضِبًا :

« عَلَيْكَ آلـلَّعْنَةُ . »

وَضَحِكَ آلصَّوْتُ ، وَقالَ : « يُمْكِنُني آلآنَ أَنْ أَقْتُلَكَ ، وَلٰكِنَّ في ذٰلِكِ إِضاعَةً لِرَصاصَةٍ . »

وَرَأى آدي آلـمُسَدَّسَ مُعَلَّقًا في آلـهَواءِ ، عَلى قِيدِ مِتْرَيْنِ مِنْهُ ، وَمُسَدَّدًا إِلَيْهِ ، فَقالَ وَهُوَ يَقومُ مِنْ رَقْدَتِهِ : « ماذا تُريدُ ؟ »

قالَ آلصَّوْتُ : « إِنْهَضْ . »

وَآنْتَصَبَ آدي واقِفًا .

قالَ آلصَّوْتُ : « قِفْ ساكِنًا . » ثُمَّ أَرْدَفَ بِحَزْمٍ : « إِيّاكَ وَآلإِقْدامَ عَلى أَيَّةِ خُدْعَةٍ . وَتَذَكَّرْ أَنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى وَجْهَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ

لاتَراني . وَعَلَيْكَ الآنَ أَنْ تَرْجِعَ إلى آلبَيْتِ . »

أجابَ آدي : « إِنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لي بِآلدُّخولِ . »

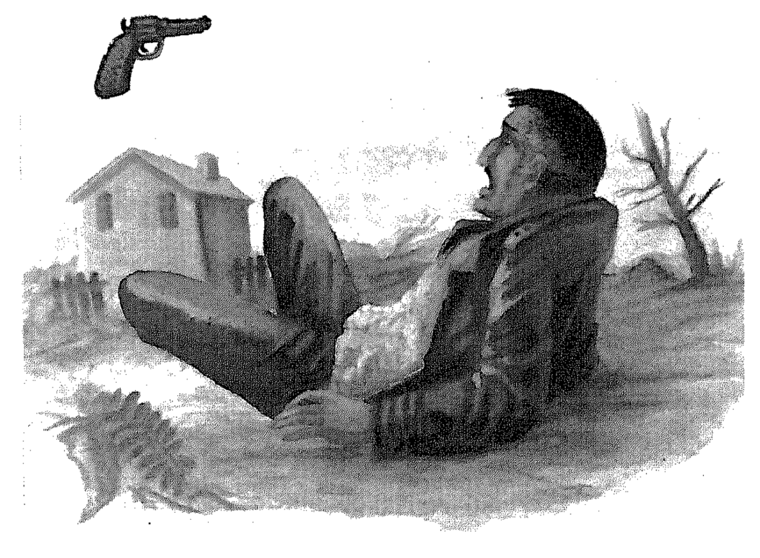
قالَ آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ : « هَذا شيْءٌ مُؤْسِفٌ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ آلرَّجُلَ آلَّذي أُريدُ أَنْ أَقْتُلَهُ . »

وَحَوَّلَ آدي بَصَرَهُ عَنِ آلمُسَدَّسِ آلمُصَوَّبِ إِلَيْهِ ، وَرأى آلبَحْرَ مِنْ بَعيدٍ داكِنًا شَديدَ آلزُّرْقَةِ في ضَوْءِ آلشَّمْسِ آلسّاطِعَةِ ، وَصُخورَ آلشّاطِئِ آلبَيْضاءَ ، كَما رَأى آلتَّلَّ تَعْلوهُ آلأَعْشابُ آلخَضْراءُ . وَفَجْأَةً أَدْرَكَ أَنَّ آلحَياةَ حُلْوَةٌ ، فَعادَ بِبَصَرِهِ إِلى ذٰلِكَ آلشَّيْءِ آلمَعْدِنِيِّ آلصَّغيرِ آلمُعَلَّقِ بَيْنَ آلأَرْضِ وَآلسَّماءِ ، عَلى قِيدِ مِتْرَيْنِ مِنْهُ ، وَقالَ : « ما آلَّذي يَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ »

قالَ آلرَّجُلُ آلخَفِيُّ : « بَلْ ما آلَّذي يَنْبَغي أَنْ أَفْعَلَهُ أَنا ؟ لَوْ أَنَّني أَطْلَقْتُ سَراحَكَ ، لَعُدْتَ بِنَجْدَةٍ ، لِذٰلِكَ لَيْسَ أَمامَكَ إِلّا أَنْ تَرْجِعَ إِلى آلبَيْتِ . »

« سَأُحاوِلُ ، وَلٰكِنْ إِذا سَمَحَ لي بِآلدُّخولِ فَهَلْ تَعِدُني بِأَلّا تَقْتَحِمَ آلبابَ ؟ »

أجابَ آلصَّوْتُ : « إِنّي لا أُريدُ أَنْ أَقْتُلَكَ أَنْتَ . »



وَكانَ كِمْب قَدْ أَسْرَعَ إلى ٱلطّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، بَعْدَ أَنْ غادَرَ آدي ٱلبَيْتَ ، وَمَضي يَتَطَلَّعُ إلى ٱلخارِجِ مِنْ خِلالِ ٱلنّافِذَةِ ٱلـمَكْسورَةِ ، وَشاهَدَ آدي يَتَحَدَّثُ إلى ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ .

وَتَساءَلَ كِمْب : « لِـمَ لا يُطْلِقُ عَلَيْهِ ٱلنّارَ ؟ » ثُمَّ رَأى ٱلـمُسَدَّسَ يَتَحَرَّكُ في ٱلـهَواءِ .

فَقالَ لِنَفْسِهِ : « هٰذا عَجيبٌ ! لَقَدْ سَلَّـمَهُ آدي ٱلـمُسَدَّسَ . »

وَفي ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ آدي يَقولُ : « عِدْني بِأَلّا تَقْتَحِـمَ ٱلبابَ ،

وَٱمْنَحْني فُرْصَةً . »

« كُلُّ ما عَلَيْكَ هُوَ أَنْ تَرْجِعَ إلى ٱلبَيْتِ . وَلَنْ أَعِدَكَ بِشَيْءٍ . »

وَبَدا أَنَّ آدي قَرَّرَ فَجْأَةً أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . فَقَدِ ٱسْتَدارَ عائِدًا إلى ٱلبَيْتِ ، وَسارَ بِخُطًى وَئيدَةٍ وَيَداهُ وَراءَ ظَهْرِهِ . وَأَخَذَ كِمْب يُراقِبُهُ مِنَ ٱلنّافِذَةِ . وَظَهَرَ ٱلـمُسَدَّسُ ، كَجِسْمٍ صَغيرٍ أَسْوَدَ ، يَتْبَعُ آدي . وَعِنْدَئِذٍ تَتابَعَتِ ٱلأَحْداثُ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ : قَفَزَ آدي صَوْبَ هٰذا ٱلشَّيْءِ ٱلصَّغيرِ ، وَلٰكِنَّهُ أَخْطَأَهُ ، وَرَفَعَ ذِراعَيْهِ إلى أَعْلى ، وَوَقَعَ عَلى وَجْهِهِ . وَشَقَّتِ ٱلـهَواءَ كُرَةٌ صَغيرَةٌ مِنَ ٱلدُّخانِ ٱلأَزْرَقِ ، وَلٰكِنَّ كِمْب لَـمْ يَسْمَعْ دَوِيَّ ٱلطَّلْقِ ٱلنّارِيِّ . وَرَفَعَ آدي جِسْمَهُ مُسْتَنِدًا إلى ذِراعٍ واحِدَةٍ ، ثُمَّ سَقَطَ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَظَلَّ مَكانَهُ ساكِنًا .

وَلَبِثَ كِمْب فَتْرَةً مِنَ ٱلوَقْتِ يَنْظُرُ إلى آدي وَهُوَ راقِدٌ عَلى ٱلأَعْشابِ في هُدوءٍ . وَكانَ ٱلـجَوُّ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ساكِنًا شَديدَ ٱلحَرارَةِ ، وَلا شَيْءَ فيهِ يَتَحَرَّكُ ، وآدي راقِدٌ بِالقُرْبِ مِنْ بَوّابَةِ ٱلـحَديقَةِ . وَ كانَتِ ٱلسَّتائِرُ مُسْدَلَةً في جَميعِ ٱلبُيوتِ ٱلقائِمَةِ عَلى سَفْحِ ٱلتَّلِّ ، وَإِنْ بَدا في أَحَدِ ٱلبُيوتِ ٱلصَّيْفِيَّةِ ٱلصَّغيرَةِ شَبَحٌ أَبْيَضُ ، لاحَ أَنَّهُ لِشَيْخٍ نائِمٍ . وَعادَ كِمْب بِعَيْنَيْهِ إلى آدي ، فَقَدْ بَدَأَتِ ٱللُّعْبَةُ بِدايَةً سَيِّئَةً !

وَعِنْدَئِذٍ عَلا رَنينُ آلـجَرَسِ ، ثُمَّ طَرْقٌ عَلى آلبابِ آلأَمامِيِّ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَـمْ يَفْتَحْهُ ، وَسادَ آلسُّكونُ بَعْدَ ذٰلِكَ . وَبَقِيَ كِمْب جالِسًا يُصْغي ، ثُمَّ راحَ يُنْعِمُ آلنَّظَرَ بِحَذَرٍ مِنَ آلنَّوافِذِ آلثَّلاثِ ، واحِدَةً بَعْدَ آلأُخْرى ، ثُمَّ آتَّجَهَ إلى آلسُّلَّـمِ وَوَقَفَ يُصْغي بِقَلَقٍ مُتَسائِلًا عَمّا يَفْعَلُهُ عَدُوُّهُ .

وَفَجْأَةً سَمِعَ طَرَقاتٍ شَديدَةً تَأْتي مِنَ آلطّابَقِ آلأَرْضِيِّ ، فَتَرَيَّثَ بُرْهَةً ، ثُمَّ هَبَطَ آلدَّرَجَ مَرَّةً أُخْرى . وَآمْتَلأَ آلبَيْتُ بِأَصْواتِ خَبَطاتٍ عَنيفَةٍ ، وَخَشَبٍ يَتَحَطَّمُ ؛ فَمَضى إلى آلـمَطْبَخِ لِيَتَبَيَّنَ ما حَدَثَ ، فَوَجَدَ بَلْطَةً تُحَطِّمُ آلبابَ .

عادَ كِمْب إلى آلـمَمْشى ، وَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ . فَلَنْ تَمْضِيَ لَـحَظاتٌ حَتّى يَكونَ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ قَدِ آقْتَحَـمَ آلـمَطْبَخَ ، لأَنَّ هٰذا آلبابَ لَنْ يَصُدَّهُ لَـحْظَةً عَنِ آلدُّخولِ .

وَدَقَّ جَرَسُ آلبابِ آلأَمامِيِّ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَمِعَ كِمْب جَلَبَةَ أَصْواتٍ ، وَكانَتْ لِشُرْطِيَّيْنِ مَعَ آلخادِمَةِ .

وَجَرى كِمْب إلى آلرَّدْهَةِ ، وَفَتَحَ آلبابَ ، فَتَساقَطَ ثَلاثَةُ أَشْخاصٍ داخِلَ آلبَيْتِ ، فَأَسْرَعَ كِمْب وَأَغْلَقَ آلبابَ ثانِيَةً وَصاحَ : « الرَّجُلُ

آلـخَفِيُّ ! إنَّ مَعَهُ مُسَدَّسًا فيهِ طَلْقَتانِ . لَقَدْ قُتِلَ آدي ، أَوْ عَلى آلأَقَلِّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ آلنّارُ . أَلَـمْ تَرَوْهُ مُلْقًى عَلى آلأَعْشابِ ؟ »

وَسَأَلَ أَحَدُ آلشُّرْطِيَّيْنِ : « مَنْ ؟ »

أَجابَ كِمْب : « آدي . »

قالَتِ آلخادِمَةُ : « لَقَدْ جِئْنا مِنْ خَلْفِ آلبَيْتِ . »

وَسَأَلَ آلشُّرْطِيُّ آلآخَرُ : « ما هٰذِهِ آلـخَبَطاتُ ؟ »

« لَعَلَّهُ في آلـمَطْبَخِ ، أَوْ سَيَدْخُلُهُ ، فَقَدْ عَثَرَ عَلى بَلْطَةٍ . »

وَفَجْأَةً آمْتَلأَ آلبَيْتُ بِخَبَطاتِ آلرَّجُلِ آلـخَفِيِّ وَهُوَ يُحَطِّمُ بابَ آلـمَطْبَخِ وَتَطَلَّعَتِ آلخادِمَةُ إلى آلـمَطْبَخِ ، ثُمَّ هُرِعَتْ إلى حُـجْرَةِ آلطَّعامِ ، وَحاوَلَ كِمْب أَنْ يَشْرَحَ آلـمَوْقِفَ بِعِباراتٍ مُتَقَطِّعَةٍ ؛ ثُمَّ سَمِعوا بابَ آلـمَطْبَخِ وَهُوَ يَنْفَتِحُ .

وَصاحَ كِمْب : « مِنْ هٰذا آلطَّريقِ . » وَدَفَعَ آلشُّرْطِيَّيْنِ ناحِيَةَ مَدْخَلِ حُـجْرَةِ آلطَّعامِ ، وَآنْدَفَعَ هُوَ ناحِيَةَ آلـمِدْفَأَةِ قائِلاً : « قَضيبُ تَقْليبِ آلنّارِ ! »

وَأَعْطى كُلَّ شُرْطِيٍّ قَضيبًا ، ثُمَّ قَفَزَ فَجْأَةً إلى آلـخَلْفِ . وَصاحَ أَحَدُ

ٱلشُّرْطِيَّيْنِ : « حَذارِ ! » وَوَثَبَ جانِبًا ، وَتَلَقّى ضَرْبَةَ ٱلبَلْطَةِ عَلى ٱلقَضيبِ ! وَدَوّى طَلْقٌ نارِيٌّ مُـحْدِثًا ثَقْبًا في إحْدى ٱللَّوْحاتِ . أَمّا ٱلشُّرْطِيُّ ٱلثّاني فَهوى بِٱلقَضيبِ فَوْقَ ٱلـمُسَدَّسِ ، فَأَسْقَطَهُ عَلى ٱلأَرْضِ .

وَعادَتِ ٱلبَلْطَةُ إلى ٱلـمَـمْشى ، وَكانوا يَسْمَعونَ أَنْفاسَ ٱلرَّجُلِ ٱلـخَفِيِّ ٱللّاهِثَةَ . وَجاءَهُمْ صَوْتُهُ يَقولُ : « اِبْتَعِدا أَيُّها ٱلشُّرْطِيّانِ . إنَّ مَنْ أُريدُهُ هُوَ هٰذا ٱلرَّجُلُ كِمْب . »

قالَ الشُّرْطِيُّ ٱلأَوَّلُ : « وَنَحْنُ نُريدُكَ أَنْتَ . » وَوَثَبَ وَثْبَةً سَريعَةً إلى ٱلأَمامِ وَهَوى بِٱلقَضيبِ في ٱتِّجاهِ ٱلصَّوْتِ . وَيَبْدو أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلـخَفِيَّ تَراجَعَ إلى ٱلـخَلْفِ ، وَسَقَطَ عَلى أَحَدِ ٱلـمَقاعِدِ .

وَلَـمّا تَبِعَهُ ٱلشُّرْطِيُّ عادَ إلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ وَضَرَبَهُ فَطَرَحَهُ أَرْضًا .

وَلٰكِنَّ ٱلشُّرْطِيَّ ٱلثّانِـيَ وَجَّهَ ضَرْبَةً بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ خَلْفَ ٱلبَلْطَةِ فَأَصابَ شَيْئًا لَيِّنًا سُمِعَتْ لَهُ طَقْطَقَةٌ أَعْقَبَتْها صَرْخَةُ أَلَـمٍ حادَّةٌ . وَسَقَطَتِ ٱلبَلْطَةُ عَلى ٱلأَرْضِ . وَوَجَّهَ ٱلشُّرْطِيُّ في ٱلفَراغِ ضَرْبَةً أُخْرى لَـمْ تُصِبْ شَيْئًا ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ ٱلبَلْطَةِ ، وَوَجَّهَ ضَرْبَةً جَديدَةً . ثُمَّ وَقَفَ وَهُوَ مُمْسِكٌ بِٱلقَضيبِ ، وَأَرْهَفَ ٱلسَّمْعَ إلى أَيَّةِ حَرَكَةٍ .

وَسَمِعَ نافِذَةً تُفْتَحُ ، وَوَقْعَ أَقْدامٍ مُسْرِعَةٍ في ٱلخارِجِ . وَٱعْتَدَلَ زَميلُهُ وَجَلَسَ وَٱلدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ جُرْحٍ في صُدْغِهِ ، وَتَساءَلَ : « أَيْنَ هُوَ ؟ »

أَجابَهُ : « لا أَدْري ، وَلٰكِنِّي أَصَبْتُهُ . وَهُوَ واقِفٌ في مَكانٍ ما في ٱلرَّدْهَةِ ، إلّا إذا كانَ قَدْ مَرَّ بِكَ . دُكْتورُ كِمْب ، أَيْنَ أَنْتَ يا سَيِّدي ؟ »

وَصاحَ ثانِيَةً : « دُكْتورُ كِمْب ! »

وَجاهَدَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلثّاني حَتّى وَقَفَ عَلى قَدَمَيْهِ . وَفَجْأَةً سَمِعَ ٱلشُّرْطِيّانِ وَقْعَ قَدَمَيْنِ حافِيَتَيْنِ ، فَصَرَخَ ٱلشُّرْطِيُّ ٱلأَوَّلُ وَأَلْقى بِقَضيبِ تَقْليبِ ٱلنّارِ . وَهَمَّ بِتَعَقُّبِ ٱلرَّجُلِ ٱلخَفِيِّ ، وَلٰكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذٰلِكَ ، وَدَخَلَ حُجْرَةَ ٱلطَّعامِ وَصاحَ : « دُكْتورُ كِمْب . . . »

وَكانَتْ نافِذَةُ حُجْرَةِ ٱلطَّعامِ مَفْتوحَةً ، وَلَمْ تَكُنْ فيها ٱلخادِمَةُ وَلا كِمْب .

الفَصْلُ ٱلثّالِثُ وَٱلعِشْرونَ

اِقْتِناصُ ٱلصَّيّادِ

إنْطَلَقَ كِمْب يَجْري لِيَنْجُوَ بِحَياتِهِ ، مِثْلَما رَأى مِنْ قَبْلُ ٱلسَّيِّدَ مارْفِل يَجْري هابِطًا ٱلتَّلَّ . وَلَـمْ يَبْدُ لَهُ ٱلـجَرْيُ في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيامِ أَبْطأَ مِـمّا بَدا لَهُ آنَذاكَ .

وَأَخذَ ٱلنّاسُ يَنْظُرونَ إلَيْهِ ، وَرَأَوْا في وَجْهِهِ أَماراتِ ٱلذُّعْرِ وَٱلفَزَعِ .

كانَ مُنْدَفِعًا صَوْبَ ٱلقَرْيَةِ عِنْدَ سَفْحِ ٱلتَّلِّ حَيْثُ يَقِفُ ٱلنّاسُ أَوْ يَمْشونَ في جَماعاتٍ .

وَتَمَهَّلَ في سَيْرِهِ قَليلاً ، فَسَمِعَ وَقْعَ خُطُواتٍ سَريعَةٍ وَراءَهُ ، فَصاحَ : « الرَّجُلُ ٱلـخَفِيُّ ! » وَخَطَرَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُ غَيَّرَ رَأْيَهُ ، وَدَخَلَ شارِعًا جانِبِيًّا ، ثُمَّ فِناءَ أَحَدِ ٱلبُيوتِ ، ثُمَّ بَيْتًا صَغيرًا ، وَعادَ بِذٰلِكَ إلى ٱلطَّريقِ ٱلعامِّ .

وَٱحْتَشَدَ جَـمْعٌ مِنَ ٱلنّاسِ ، وَكانَ ثَمَّةَ وَقْعُ أَقْدامٍ تَجْري . وَعَلى

قِيدِ بِضْعَةِ أَمْتارٍ شوهِدَ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلـجِسْمِ يُطَوِّحُ في ٱلهَواءِ مِـجْرَفَةً ثَقيلَةً ، وَيَضْرِبُ بِها شَيْئًا ما . وَخَرَجَ آخَرُ مِنْ مَتْجَرٍ وَبِيَدِهِ عَصًا غَليظَةٌ . وَصاحَ رَجُلٌ : « إِنْتَشِروا ! إِنْتَشِروا ! » وَتَوَقَّفَ كِمْب وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ ، وقَالَ : « إِنَّهُ قَريبٌ مِنْ هُنا ! شَكِّلوا صَفًّا بِعَرْضِ . . . »

وَتَلَقّى ضَرْبَةً عَنيفَةً وَراءَ أُذُنِهِ ، فَحاوَلَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِيُواجِهَ عَدُوَّهُ ٱلـخَفِيَّ ، وَسَدَّدَ ضَرْبَةً في ٱلهَواءِ ، وَلٰكِنَّهُ تَلَقّى لَكْمَةً أُخْرى تَحْتَ فَكِّهِ ؛ فَسَقَطَ عَلى ٱلأَرْضِ . وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ ٱنْغَرَزَتْ رُكْبَةٌ في صَدْرِهِ ، وَأَطْبَقَتْ يَدانِ عَلى عُنُقِهِ ، وَلٰكِنَّ إِحْدى ٱليَدَيْنِ كانَتْ أَضْعَفَ مِنَ ٱلأُخْرى . وَعِنْدَئِذٍ هَوَتْ مِـجْرَفَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلضَّخْـمِ مِنْ فَوْقِهِ بِقَليلٍ ، وَٱرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ ما . وَشَعَرَ بِقَطَراتٍ مِنَ ٱلدَّمِ ٱلدّافِئِ تَتَساقَطُ عَلى وَجْهِهِ ، وَتَراخَتِ ٱليَدانِ ٱلـمُطْبِقَتانِ عَلى عُنُقِهِ ؛ فَٱنْقَلَبَ كِمْب وَجَثَمَ فَوْقَ عَدُوِّهِ وَصاحَ : « أَمْسَكْتُهُ ! أَمْسَكْتُهُ ! النَّجْدَةَ ! النَّجْدَةَ ! أَمْسِكوهُ ! أَمْسِكوا قَدَمَيْهِ ! »

وَفي ٱللَّـحْظَةِ ٱلتّالِيَةِ ٱقْتَحَـمَ ٱلـمَعْرَكَةَ حَشْدٌ مِنَ ٱلنّاسِ . وَلَـمْ يَكُنْ ثَمَّةَ صِياحٌ بَعْدَ صِياحِ كِمْب ، بَلْ كُلُّ ما كانَ يُسْمَعُ هُوَ صَوْتُ ضَرَباتٍ تُسَدَّدُ ، وَوَقْعُ أَقْدامٍ تَتَحَرَّكُ ، وَأَنْفاسٌ تَلْهَثُ .

ثُمَّ هَبَّ آلرَّجُلُ آلـخَفِيُّ واقِفًا عَلى قَدَمَيْهِ ، وَكانَ كِمْب مُتَشَبِّثًا بِساقَيْهِ ، وَعِنْدَئِذٍ قَبَضَ شَخْصٌ ما عَلى عُنُقِ آلرَّجُلِ آلـخَفِيِّ ، وَجَذَبَهُ إلى آلـخَلْفِ . وَوَقَعَ آلرِّجالُ آلـمُتَقاتِلونَ عَلى آلأَرْضِ وَهُمْ يَتَراكَلونَ ، وَعِنْدَئِذٍ آنْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حادَّةٌ ، ثُمَّ خَيَّمَ آلسُّكونُ .

صاحَ كِمْب : « اِبْتَعِدوا ! لَقَدْ أُصيبَ ! إِنَّهُ جَريحٌ ! أَفْسِحوا آلْمَكانَ ! » وَأَخَذَ طَبيبٌ يَتَحَسَّسُ آلـجِسْمَ آلـخَفِيَّ ، ثُمَّ قالَ : « الْفَمُ كُلُّهُ مُبْتَلٌّ . »

وَنَهَضَ واقِفًا عَلى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكَعَ عَلى رُكْبَتَيْهِ بِجانِبِ آلشَّيْءِ آلَّذي لا يُرى . وَأَقْبَلَ جَمْعٌ جَديدٌ مِنَ آلنّاسِ لِيَزيدوا آلـحَشْدَ آلـمُتَدافِعَ ، وَآنْضَمَّ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرونَ خَرَجوا مِنَ آلْبُيوتِ . وَكانَتْ أَبْوابُ آلْفُنْدُقِ مَفْتوحَةً عَنْ آخِرِها ، وَكانَ آلصَّمْتُ سائِدًا .

وَمَدَّ كِمْب يَدَهُ يَتَحَسَّسُ آلفَراغَ حَوْلَهُ ، وَقالَ : « إِنَّهُ لا يَتَنَفَّسُ . إِنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَلْـمِسَ قَلْبَهُ . هٰذا جَنْبُهُ .. آهٍ ! »

وَصَرَخَتِ آمْرَأَةٌ عَجوزٌ ، كانَتْ تَنْظُرُ مِنْ تَحْتِ ذِراعِ آلرَّجُلِ آلضَّخْمِ ، صاحِبِ آلـمِجْرَفَةِ ، قائِلَةً بِصَوْتٍ حادٍّ : « أُنْظُروا ! »

وَتَطَلَّعوا إِلى حَيْثُ أَشارَتْ ، وَرَأَوْا جَميعًا جِسْمًا ضَبابِيًّا أَشْبَهَ

بِٱلطَّيْفِ . وَ ٱسْتَطاعوا في ٱلبِدايَةِ أَنْ يَخْتَرِقوا هٰذا ٱلـجِسْمَ بِأَبْصارِهِمْ ، وَلٰكِنَّهُ أَخَذَ يَتَحَوَّلُ بِٱلتَّدْريجِ إلى جِسْمٍ أَكْثَرَ صَلابَةً وَ سُمْكًا .

وَصاحَ ٱلشُّرْطِيُّ : « ها هُما قَدَماهُ تَبينانِ ! »

وَهٰكَذا ٱسْتَمَرَّ هٰذا ٱلتَّغَيُّرُ ٱلعَجيبُ بِبُطْءٍ ، مُبْتَدِئًا بِظُهورِ ٱليَدَيْنِ ثُمَّ ٱلقَدَمَيْنِ ، وَظَهَرَتْ ساقاهُ حَتّى مُنْتَصَفِ جِسْمِهِ . وَ كانَ يُشْبِهُ ٱلانْتِشارَ ٱلبَطيءَ لِلسُّمِّ . وَرَأَوْا صورَةً باهِتَةً لأَحَدِ أَطْرافِهِ ، ثُمَّ عِظامَهُ ٱلزُّجاجِيَّةَ ٱللَّوْنِ ، وَ بَعْدَها لَـحْمَهُ وَ جِلْدَهُ ، وَ قَدْ ظَهَرَ جَسَدُهُ في شَكْلٍ ضَبابِيٍّ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ ، وَلٰكِنَّهُ أَخَذَ يَزْدادُ بِبُطْءٍ سُمْكًا وَصَلابَةً . وَسَرْعانَ ما اسْتَطاعوا بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَرَوْا صَدْرَهُ وَكَتِفَيْهِ وَشَكْلَ وَجْهِهِ غَيْرَ ٱلواضِحِ .

وَعِنْدَما أَفْسَحَ ٱلـجَمْعُ ٱلـمُحْتَشِدُ ٱلـمَكانَ لِكِمْب لِيَقِفَ ، شاهَدوا عَلى ٱلأَرْضِ أَمامَهُمْ جُثَّةً عارِيَةً مُهَشَّمَةً لِشابٍّ في نَحْوِ ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَكانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ ، وَلَـمْ يَكُنْ أَشْيَبَ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ أَبْيَضَ كَٱلثَّلْجِ . وَكانَتْ لَهُ عَيْنانِ تَبْرُقانِ مِثْلَ جَوْهَرَتَيْنِ ، وَتَكْسو وَجْهَهُ مَـلامِحُ ٱلغَضَبِ وَٱلـخَوْفِ .

وَصاحَ رَجُـلٌ مِنْ بَيْنِ ٱلواقِفينَ : « غَطّوا وَجْهَهُ ! بِٱللهِ عَلَيْكُمْ غَطّوا هٰذا ٱلوَجْهَ ! » وَأَتى أَحَدُهُـمْ بِمُلاءَةٍ ، وَغَطَّوْهُ بِها ، ثُمَّ نَقَلوهُ إلى داخِـلِ

ٱلفُنْدُقِ . وَهُناكَ ، فَوْقَ فِراشٍ في حُـجْرَةٍ قَليلَةِ ٱلإِضاءَةِ ، وَبَيْنَ حَشْدٍ مِنَ ٱلنّاسِ ٱلـمُهْتاجينَ ، أَنْهى غرِيفِين ، أَوَّلُ مَنِ ٱسْتَطاعَ مِنْ بَني ٱلبَشَـرِ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ خَفِيًّا ـ أَنْهى حَياتَهُ ٱلعَجيبَةَ وَٱلرَّهيبَةَ .



الروايات المشهورة

١ ـــ جين إير
٢ ـــ فرانكنشتاين
٣ ـــ مونفليت
٤ ـــ دراكولا
٥ ـــ لورنادون
٦ ـــ دكتور جيكل ومستر هايد
٧ ـــ شي الملكة الأسطورة
٨ ـــ كونت مونت كريستو
٩ ـــ الرجل الخفي
١٠ ـــ الزمن العصيب

الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان